مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة
(JAAUTH)
الموقع الإلكتروني: http://jaauth.journals.ekb.eg/

أثر التنَافُسّية بين الأمراء والسلاطين على عمارة الجامع الأزهر فى العصر المملوكى

أحمد مجدى سالم، [١] محمد عبدالستار عثمان، [٢] هبة الله محمد فتحى. [٣]

معلومات المقالة

الكلمات المفتاحية
التنافسية؛ الجامع الأزهر ؛ الأمراء؛ السلاطين؛ الدولة المملوكية.

(JAAUTH)
المجلد 22، العدد 3
(يونيه 2022)
ص: 55-84

الملخص

ظل الجامع الأزهر زهاء قرنين يَتمَتع بالرعايةِ الرسميةِ كمسجد الدولة وصِفته الجامعية كمعهد للقراءة والدرس إلى أن تولى صلاح الدين الأيوبى وزارة العاضد، حيئذ عَمَدَ إلى إزالة شعائر الدولة الفاطمية وكل رسومها وآثارها المذهبية كما أبطل صلاح الدين إقامة الجمعة بالجامع الأزهر ولبثت إقامة الجمعة مُعطلة بالجامع الأزهر نحو مائة عام وأضحى الأزهر فى طى النسيان منذ سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م حتى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م. فلم يلقَ الأزهر الاعتناء والاهتمام إلا فى عصر الدولة المملوكية بشقيها البحرى والجركسى حيث تبارى الأمراء والسلاطين وتنافسوا فيما بينهم على الاهتمام بتجديد عمارة الجامع الأزهر كأحد وجوه البر وفعل الخير ونيل الثواب. ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن مظاهر التنافسية بين سلاطين وأمراء المماليك كثقافة عامة وذلك من خلال التراث المكتوب مُتمثلا فى المصادر التاريخية وكُتب التراث والتراجم، كما تُحاول هذه الدراسة اثبات أثر التنافسية على ازدهار عمارة الجامع الأزهر الإبداع فيه سواء كانت هذه التنافسية بين سلاطين مصر المملوكية أنفسهم أو بين السلاطين والأمراء، أو حتى بين الأمراء أنفسهم، ومن ثمَّ إبراز الوحدات المعمارية التى أُنشئت بدافع التنافس. وقد اتُبع فى إعداد هذه الدراسة المنهج التاريخى الوصفى بالاضافة إلى منهج الاستقراء والقياس والاستنباط. هذا وقد فسَّرت الدراسة التنافسية على أنها أحد المكونات الأساسية فى ثقافة المماليك وقد أوضحت شواهدها التاريخية والآثارية المعمارية حيث كانت التنافسية أحد أسباب ازدهار العمارة وبخاصة عمارة الجامع الأزهر إبان العصر المملوكى.

أهداف الدراسة:

– الكشف عن مظاهر التنافسية بين سلاطين وأمراء المماليك كثقافة عامة وذلك من خلال التراث المكتوب مُتمثلا فى المصادر التاريخية وكُتب التراث والتراجم.

– اثبات أثر التنافسية على ازدهار عمارة الجامع الأزهر الإبداع فيه سواء كانت هذه التنافسية بين سلاطين مصر المملوكية أنفسهم أو بين السلاطين والأمراء، أو حتى بين الأمراء أنفسهم.

– ابراز الوحدات المعمارية التى أُنشئت بدافع التنافس فى عمارة الجامع الأزهر إبان العصر المملوكى.

[١] المدرس المساعد بقسم الإرشاد السياحى– كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس. (للمراسلة: ahmed_salem@tourism.suez.edu.eg)
[٢] أستاذ الآثار الإسلامية المتفرغ – كلية الآثار – جامعة سوهاج.
[٣] أستاذ الآثار الإسلامية المتفرغ – كلية السياحة والفنادق – جامعة قناة السويس.

منهج الدراسة:

– اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخى الوصفى، بالاضافة إلى اتباع منهج الاستقراء والقياس والاستنباط.

محاور الدراسة:

تُركز الدراسة بشكل أساسى على محاور عديدة أهمها:

– ترميم وإصلاح عمارة الجامع الأزهر والإضافة له من قِبَل سلاطين وأمراء مصر المملوكية فى إطار التنافسية.

– مجاورة الجامع الأزهر بالمنشآت التعليمية بدافع المنافسة.

– الاهتمام بعمارة مآذن الأزهر إبان العصر المملوكى وتزايد أعدادها والتأنق فى زخارفها كأحد مؤشرات الظهور الذى يُحقق الغرض التنافسى فى الأساس.

المقدمة:

اصطلح تعريف التنافسية على أنها نزعة فطرية تدعو إلى بذل الجهد فى سبيل تحقيق التفوق. [٤] والتنافس من المنافسة وهى الرغبة فى الشىء ومحبة الانفراد به والمُغالبة عليه، وأصلها من الشىء النفيس فى نوعه. [٥] ويُقال تَنَافَس القوم فى كذا: أى تسابقوا فيه وتباروا دون أن يلحق بعضهم الضرر ببعض. [٦] ويُقال أيضا نَافستُ فى الشىء مُنافسة ونِفاساً: إذ رغبت فيه على وجه المُباراة وتنافسوا فيه أى رغبوا. [٧] وقد أقرّ القرآن الكريم مبدأ التنافس فى قوله تعالى:" **وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ**

[٤] مجمع اللغة العربية: المُعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٢) ص ٢٢٧

[٥] ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: فتح البارى بشرح صحيح الإمام ابى عبدالله محمد بن إسماعيل البُخارى، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١٣ جزء، الطبعة الأولى (القاهرة: المكتبة السلفية، د. ت) ج١١، ص ٢٤٥

[٦] مجمع اللغة العربية: المُعجم الوسيط، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤) ص ٩٤٠

[٧] الجوهرى (أبى نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهرى) ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م: الصِّحاح تَاج اللغة وصِحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر وآخرين (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٩) ص ١١٥٨؛ ابن منظور الأفريقى المصرى (الإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م: لِسانُ العرب، ١٨ جزء، طبعة جديدة ومُنقحة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤) ج١٤، ص ٣٢٢؛ الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م: القاموس المُحيط، تحقيق: أبوالوفا نصر الهُورينى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨) ص ١٦٣٥؛ وهناك دراسات عرضت لماهية التنافس وأسبابه وتأثيراته، للاستزادة راجع: حامد عبدالسلام زهران: عِلم النفس الاجتماعى، الطبعة الخامسة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤) ص ٧-٥١، ٣٩٣-٣٩٤؛ عدنان عبدالله عبيدات، التنافس السياسى فى الدولة العباسية بين التيارين الفارسى والعربى ١٧٠-١٨٧هـ/ ٧٨٦-٨٠٢ م "ولاية العهد أنموذجا"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مُجلد ٢٥، عدد ٢ (٢٠١٧) ص ص. ١٥٧-١٧٤

الْمُتَنَافِسُونَ " [٨] كما حثَّ التنزيل العزيز أيضا على التسابق والتبارى فى أعمال الخير، فقال تعالى:" **أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** " [٩] وقوله تعالى فى ذات السياق:" **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ". [١٠]

تجلت التنافسية فى أبهى صورها إبان فترة حكم الدولة المملوكية بشقيها: البحرى والجركسى حيث تنافس السلاطين والأمراء فيما بينهم فى مناحى ومجالات شتى، تلمس هذه الدراسة التنافس والتبارى فى مجال العمارة الدينية وبالأخص عمارة الجامع الأزهر. فكان من سمات العصر المملوكى أن يُنشئ السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة المنشآت الدينية والخيرية ويتنافسون فى تشييدها بما يتناسب مع درجة كل منهم ومكانته تقربا إلى الله واسترضاء للشعب ورغبة فى التعمير والتجديد ومن لم يفعل ذلك اعتُبر شاذا، ويؤكد ذلك المؤرخ ابن تغرى بردى فى معرض حديثه عن الأمير يشبك السودونى [١١] ناقدا له عدم مشاركته فى تبنى رعاية العمارة فى إطار المنافسة قائلا:

> " **كان ذى ثروة زائدة ومكانة عظيمة، ومع هذا التمكن العظيم لم يفعل فى حياته من المعروف ما يُذكر به: من سُبُلٍ ومساجدٍ على عادة عُظماء الملوك، بل أنشأ تربة بالصحراء بجوار تربة الأشرف برسباى ولم تُكتمل، ومات ودُفن بها من غير تكملة** ". [١٢]

وقد شُيِّدَ الجامع الأزهر منذ البداية [١٣] ليكون موطناً للفقه الشيعى وشعائره أيام الدولة الفاطمية، فظل زهاء قرنين يتمتع بالرعاية الرسمية كمسجد الدولة وصفته الجامعية كمعهد للقراءة والدرس، وحينما انهارت دعائم الدولة الفاطمية إبان عهد الخليفة العاضد لدين الله [١٤] – آخر الخلفاء الفاطميين – وتولى صلاح الدين الأيوبى وزارة العاضد، عَمَدَ إلى إزالة شعائر

---

[٨] سورة المطففين، آية رقم ٢٦

[٩] سورة المؤمنون، آية رقم ٦١

[١٠] سورة البقرة، آية رقم ١٤٨

[١١] الأمير يشبك السودونى الأتابكى المعروف بالمشد، وكان متحدثا على أولاد الناصر فرج. للاستزادة راجع: ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جزءان، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨) ج٢، ص ٧٨٥؛ السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى) ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م: الضَّوْءُ اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢) ج١٠، ص ٢٧٧-٢٧٨

[١٢] ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: حوادثُ الدهور فى مَدى الأيام والشهُور، جزءان، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٠) ج١، ص ١٣٠-١٣١

[١٣] شُرع فى بناء الجامع الأزهر فى ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩هـ/ ٤ إبريل سنة ٩٧٠م، واستغرقت مُدة بنائه عامين وثلاثة أشهر حتى افتُتح للصلاة فى يوم الجمعة ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٢٢ يونيه ٩٧٢م. للإستزادة راجع: أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الفاطمى، الجزء الأول، الطبعة الثانية (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨) ص ٤١؛ أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية فى مصر: تفسير جديد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧) ص ٦١٤

[١٤] هو الخليفة العاضد لدين الله أبو محمد عبدالله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبدالمجيد. للإستزادة راجع: المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٤ مجلدات، تحقيق: جمال الدين الشيال ومحمد حلمى، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٦) ج٣، ص ٢٤٢-٣٢٨

الدولة الفاطمية وكل رسومها وآثارها المذهبية، [١٥] كما استفتى قاضى قضاة الشافعية ابن دِرباس [١٦] فى شأن خطبة الجمعة بالجامع الأزهر، فأفتى ابن دِرباس بأنه لا يجوز إقامة خطبتين للجمعة فى بلدٍ واحد بالتالى أبطل صلاح الدين إقامة الجمعة بالجامع الأزهر، وأقرها بالجامع الحاكمى بحجة أنه أوسع رحاباً، فكان الجامع الحاكمى آنذاك من المساجد الفاطمية وكان فى وقت ما يتمتع إلى جانب الأزهر بالصفة الرسمية، ولكن الأزهر كان مُنذ البداية مسجد الدولة ومنبرها الرسمى. [١٧] ولبثت إقامة الجمعة مُعطلة بالجامع الأزهر نحو مائة عام وأضحى الأزهر فى طى النسيان [١٨] منذ سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م حتى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م. [١٩] فلم يلقَ الأزهر الاعتناء والاهتمام إلا فى عصر الدولة المملوكية بشقيها البحرى والجركسى حيث تبارى الأمراء والسلاطين وتنافسوا فيما بينهم على الاهتمام بتجديد عمارة الجامع الأزهر كأحد وجوه البر وفعل الخير ونيل الثواب. [٢٠]

وبالنسبة للأطر الزمنية للتنافسية فتُعرض التنافسية هنا فى الإطار الزمنى المتعاصر: أى أن المُتنافسين – سواء كانوا سلاطين أو أمراء – مُتعاصرين زمنيا وشاهدين على عمائر وإسهامات بعضهم، كما تُعرض التنافسية فى الإطار الزمنى المتقارب أيضا: أى أن الفترة الزمنية للمُتنافسين لم تكن بعيدة. ونعرض لمحاور هذه الدراسة بشكل تفصيلى على النحو التالى:

---

[١٥] من صور إزالة صلاح الدين لشعائر الدولة الفاطمية ورسومها: عزل قُضاة مصر من الشيعة واستبدالهم بقضاة السنة وقطع اسم الخليفة العاضد من الخطبة والدعاء للخليفة العباسى، وإبطال الآذان بحى على خير العمل محمَّد وعلى خير البشر، وكثرة إنشاء المدارس السُنّية. للإستزادة راجع: المقريزى: اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٣، ص ٣١٧–٣٢٨؛ محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢) ص ١١٠

[١٦] هو صدر الدين أبوالقاسم عبدالملك بن عيسى بن دِرباس بن فِيْر بن جهم بن عَبدُوس المارانى الكُردى الشافعى. وُلِدَ فى الموصل فى حدود سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، ونشأ وطلب العلم حتى جمعه من أعلام عصره، فاستقر قاضى القضاة الشافعية بمصر أيام الناصر صلاح الدين الأيوبى. للإستزادة راجع: الذهبى (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م: سِير أعلام النُبلاء، تحقيق: بشار عوّاد مَعروف، ٢٥ جزء، الطبعة الحادية عشر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦) ج٢١، ص ٤٧٤–٤٧٦

[١٧] محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١١٠–١١١؛ سيدة اسماعيل الكاشف: الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية: مقالة ضمن كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠) ص ٦١

[١٨] فقد الأزهر صفته المذهبية طليلة عصر الدولة الأيوبية إلى أن تربع السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى على سُدة الحكم، ولكن الأزهر خلال هذه الفترة ظل مُحتفظاً بقدرٍ من صفته الجامعية كمعهد للقراءة والدرس، ونراه مقصد علماء بارزين مثل عبداللطيف البغدادى – الذى وفد على مصر سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، فى أيام الملك العزيز ولد السلطان صلاح الدين الأيوبى – وغيره. للإستزادة راجع: محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١١١

[١٩] أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الفاطمى،ج١، ص ٤٢؛ محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١١٣

[20] Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, *Muqarnas*, Vol. 13 (1996), PP. 45-67 (p. 57)

١- التنافسية بين الأمراء فى الإضافة للجامع الأزهر :

١-١- إضافات الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى للجامع الأزهر بدافع المنافسة:

كان الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى [٢١] أول الأمراء المُتنافسين فى تجديد عمارة الجامع الأزهر والإضافة له بُغية التقرب إلى الله وفعل الخيرات، ومن ثمّ يُخلِّد اسمه ويُظهر عظمته وهيبته. فكان الأمير أيْدَمُر الحِلِّى جار هذا الجامع يُقيم فى داره المُجاورة للأزهر من الجهة الغربية البحرية فى المكان الذى أقيمت عليه المدرسة الأقبغاوية فيما بعد، فَرَعَى حُرمة الجوار وأحسن إلى جاره من خلال توظيف وتكريس كل ما بوسعه من إمكانات لخدمة الجامع الأزهر فانتزع له أشياءً مغصوبة كان شئ منها فى أيدى جماعة، وحاط أموره حتى جمع له شيئا صالحا، كما تبرع أيْدَمُر الحِلِّى للجامع بجملة مُستكثرة من المال الجزيل، واستطلق له من السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى جملة من المال، وشرع كذلك فى عمارته، فَعمَّر الواهى من أركانه وجدرانه، وبَيَّضه وأصلح سُقوفه، وبَلَّطه وفَرشَه وكَسَاه حتى عاد حَرَماً فى وسط المدينة كما استجد به مقصورة حسنة وعمل فيه منبراً، وآثر فيه آثاراً صالحة أثابه الله عليها. [٢٢]

ليس هذا فحسب بل سعى الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى إلى إعادة الجمعة بالجامع الأزهر – بعدما انقطعت مدة قرن كامل – فجرت مُحادثات ومُفاوضات بينه وبين السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى آنذاك ولم يُبدى الظاهر بيبرس أى اعتراض من جانبه بل ساند ودعم الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى، وما كان على هذا الأخير إلا أن يستفتى علماء العصر فى هذا الشأن، فأفتى بعضهم بجواز إقامة الخطبة بالأزهر، وأفتى بالمنع قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وغيره وأصرَّ ابن بنت الأعز على فتواه رغم تدخل السلطان الظاهر بيبرس، وما كان على الأمير أيْدَمُر الحِلِّى إلا أن عمل بفتوى المُجيزين، وأقيمت خطبة الجمعة بالجامع الأزهر يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٦٦٥هـ/ ١٥ يناير سنة ١٢٦٧م، ولم يحضر السلطان حفل افتتاح هذه الخطبة ولا قاضى القضاة ابن بنت الأعز، [٢٣] وحضر الصفوة أمثال الأتابك فارس الدين

---

[٢١] هو الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى الصالحى النجمى: أحد المماليك الصالحية نجم الدين أيوب ترقى فى الخدمة حتى صار أكابر أمراء مصر وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، وينوب عنه فى غيبته لثقته به واعتماده عليه، وظل أيْدَمُر الحِلِّى فى عزٍ من حاله حتى تُوفى بدمشق سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م، وقد أناف عن الستين عاما. للإستزادة راجع: المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : كِتابُ المُقفَّى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليَعلاوى، الطبعة الأولى (بيروت: دار الغرب الإسلامى، ١٩٩١) ج٢، ص ٣٥٢

[٢٢] المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، ٦ مجلدات ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان ،١٩٩٥-٢٠٠٣) ج٤، ص ١٠١؛ المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢ جزء، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٩٧) ج١، ق٢، ص ٥٥٦؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، جزءان (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣) ج١، ص ١٠٥؛ محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١١٣؛ سيدة اسماعيل الكاشف: الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية، ص ٦٣

[٢٣] سأل الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى فى الحضور لافتتاح الجمعة بالجامع الأزهر فامتنع من الحضور مالم يحضر قاضى القضاة ابن بنت الأعز. للإستزادة راجع: المقريزى: السلوك، طبعة دار الكتب، ج١، ق٢، ص ٥٥٧

والصاحب بهاء الدين على بن حنا، وولده الصاحب فخر الدين محمد، وجماعة من الأمراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم، ولما فُرِغ من الجمعة جَلَسَ الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى والأتابك والصاحب، وقُرِئ القرآن، ودُعى للسلطان، وقام الأمير أيْدَمُر الحِلِّى ودخل إلى داره، ودخل معه الأمراء، فقدَّم لهم كل ما تشتهى الأنفس وتَلَذ الأعين، فكان يوم جمعة مشهوداً استعاد فيه الأزهر مركزه الدينى وهيبته القديمة. [٢٤]

والحق أن إعادة صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر وإعادة الأوقاف إليه بفضل جهود الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى كان بمثابة رد اعتبار للأزهر كجامع، [٢٥] وهكذا استرد الأزهر مركزه القديم بل وتفوق على هذا المركز، فمنذ أن أُعيدت له خطبة الجمعة أخذ يتزايد أمره حتى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قدراً. [٢٦]

وتمتع الأزهر فيما بعد برعاية سلاطين الدولة المملوكية، فضلا عن رعاية الأمراء الكبار ذوى النفوذ والجاه الذين كانوا لهم السبق بهذه الرعاية، ولقد مثَّل الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى أسمى وأبهى صورة لرعاية الأمراء وعنايتهم بعمارة الأزهر الأمر الذى أدى إلى منافسة الأمراء له فيما بعد.

١-٢- إضافة الأمير بدر الدين بَيْلَبَك للأزهر مُضاهيا الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى:

وُجِدَ الأمير بدر الدين بَيْلَبَك [٢٧] الخازندار [٢٨] يتبارى ويتنافس مع الأمير عز الدين أيْدَمُر الحِلِّى ويُزود الجامع الأزهر بمقصورة كبيرة رتَّبَ فيها مُحَدِّثًا يُسمِعُ الحديث النبوى والرَّقائق [٢٩] كما رتَّب فيها أيضا جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الإمام الشافعى ووقف على ذلك الأوقاف الدَّارّة، كذلك رَتَّب بالجامع الأزهر سبعة لقراءة القرآن ومعهم شيخهم، [٣٠] هذا وقد

[٢٤] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٢؛ المقريزى: السلوك، طبعة دار الكتب، ج١، ق٢، ص ٥٥٧؛ محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١١٣-١١٤

[٢٥] سيدة اسماعيل الكاشف: الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية، ص ٦٣

[٢٦] القلقشندى (الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ١٤ جزء (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٢٢) ج٣، ص ٣٦٤

[٢٧] هو الأمير بدر الدين بيلبك الأيدمرى، أحد الأمراء الصالحية النجمية. تنقل فى الخدمة من أيام الصالح نجم الدين أيوب حتى صار من أعيان الدولة الظاهرية والمنصورية، واشتهر بالشجاعة والكرم وحُسن الرأى مع الحرمة الوافرة. للإستزادة راجع: المقريزى: كِتابُ المُقفَّى الكبير، ج٢، ص ٣٥٢

[٢٨] الخازندار أصله خِزَنْدار بكسر الخاء وفتح الزين، وهو لقب يعنى متولى الإشراف على خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك، وهو لفظ مُركب من لفظتين: أحدهما عربى وهو خِزانة: وهى ما يُخزن فيه المال، والثانى فارسى وهو دار، ومعناه مُمسك. للإستزادة راجع: القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ج٥، ص ٤٦٢-٤٦٣؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٥-١٩٦٦) ج١، ص ٤٥٣

[٢٩] الرقائق – والمفرد رقيقة، ويُقال الرقائق أيضا ومفردها رقيق – لفظ اصطلاحى يُطلق فى كتب الحديث الكبرى على باب خاص من أبواب الحديث البنوى، وسُميت أحاديث ذلك الباب بهذا الاسم لأن فيها من الوعظ والرحمة والتنبيه ما يجعل القلب رقيقا حميما؛ فيقال باب الرقائق، وباب الرقاق، والتسمية الثانية أكثر شيوعا. للإستزادة راجع: المقريزى: السلوك، طبعة دار الكتب، ج١، ق٢، ص ٥٥٧، هامش (١)

[٣٠] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠١-١٠٢

ضاهى الأمير بَيْلَبَك فى إضافة منبر للجامع على نسق المنبر الذى أضافه الأمير أيْدَمُر الحِلِّى واستعاد بَيْلَبَك للأزهر أيضا – على إثر الحِلِّى – الكثير من الأوقاف المحبوسة عليه والتى كان بعض الناس قد اغتصبوها إبان حكم الدولة الأيوبية. [٣١]

١-٣- مُجاورة الأمير علاء الدين طيبرس للأزهر بدافع المنافسة:

وقد ساهم الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار – نقيب الجيوش – فى مضمار التنافسية هذه بأن جاور الأزهر مُتبعا ظاهرة مجاورة المنشآت التعليمية للمساجد العتيقة، [٣٢] فشيَّد مدرسة مُلاصقة للجامع الأزهر من الناحية الغربية على يمين الداخل من باب المزينين وجعلها مسجداً لله تعالى يكون زيادة للجامع الأزهر فى أوقات الصلاة (شكل رقم: ١). كما رتَّب درساً للشافعية وإماما راتبا وأنشأ بجوارها ميضأة وفسقية، وزودها بحوض ماء سبيل تَرِدُه الدواب. وقد تأنق الأمير طيبرس فى ترخيم هذه المدرسة وتذهيب سقوفها حتى جاءت فى أبدع زى وأحسن قالب، وأبهج ترتيب؛ لما فيها من إتقان العمل وجودة الصناعة بحيث لم يقدر أحدُ على مُحاكاة ما فيها من صناعة الرخام. [٣٣] ولعل صناعة الرخام فى محراب هذه المدرسة من أدق وأندر ما وُجِد آنذاك: فالجزء الأسفل من المحراب مُكون من طاقات مقرنصة محمولة على عُمد رخامية صغيرة لها تيجان رخامية أيضا، وتواشيحها من رخام مدقوق به فروع زخرفية بارزة، وباقى المحراب من رخام أبيض لُبِّست فيه ألوان الرخام بأشكال زخرفية وحُلِّيت تواشيحه وأعلاه بفسيفساء مُذّهبة (لوحة رقم:١). [٣٤] هذا وقد بلغت نفقة عمارة هذه المدرسة

---

[٣١] عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٠٥-١٠٦؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ترجمة: حسين فوزى النجار (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠) ص ٧١

[٣٢] كان صلاح الدين الأيوبى أول من تبنى فكرة مجاورة المنشآت التعليمية للمساجد العتيقة بمصر حيث أنشأ مدرستين سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م بجوار جامع عمرو بن العاص، خصص إحداهما وهى التى تُعرف بالناصرية للشافعية وخصص الثانية التى عُرفت بالقمحية للمالكية. للاستزادة راجع: المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٤٥٤-٤٥٦؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزء ، تحقيق: نخبة من العماء، نسخة مُصورة من طبعة دار الكتب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١) ج٥، ص ٣٨٥؛ أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الأيوبى، الجزء الثانى، الطبعة الثانية (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨) ص ٥٢-٥٣؛ محمد عبدالستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٥) ص ٦٦؛ عبدالرحمن عزام: صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السنى، ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الثانية (قطر: مؤسسة قطر للنشر، ٢٠١٣) ص ١١٦-١١٧؛

Ahmed Magdy Abdelgawwad Salem: A Comparative Study between the Madrasa and the Khanqa in Mamluk Egypt (648-923/1250-1517), a master thesis (Suez Canal University: Faculty of Tourism and Hotels, 2016) p. 21

[٣٣] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٣٦-٥٣٨؛ على باشا مبارك (على بن مبارك بن سليمان) ت ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨) ج٤، ص ٤٤؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٢١؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٣؛

Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, (p. 57)

[٣٤] حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جزءان (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٥) ج١، ص ٥٧

جُملة مُستكثرة حتى تم الانتهاء منها فى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م. [٣٥] ويُحكى عن طيبرس أنه لما فرغ من بناء هذه المدرسة أحضروا إليه كشفاً يُبين مقدار ما أنفقه فى بنائها من مال، فطلب طستاً به ماء وغسل أوراق الحساب كلها من غير أن يقف على شئ منها وقال:" **شئ خرج منا لله لا نحاسب عليه** ". [٣٦]

١-٤- مجاورة الأمير آقبغا للأزهر مُضاهيا الأمير طيبرس:

وفى مُقابل المدرسة الطيبراسية قرر الأمير آقبغا عبدالواحد [٣٧] أن يُنشئ مدرسة له تكون مُحاكية للمدرسة الطيبراسية فى كونها زيادة للجامع الأزهر وقت الصلاة، فشغلت الجهة البحرية الغربية لواجهة الأزهر الرئيسية (الشمالية الغربية) على يسار الداخل من باب المزينيين (شكل رقم: ١). وكان موضع هذه المدرسة دارُ الأمير الكبير عِز الدين أيدّمُر الحِلِّى – نائب السلطنة فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى – وميضأة للجامع الأزهر، ولكى تؤل أرض هذه المدرسة للأمير آقبغا – ليُنشئ عليها مدرسته التى يصبو إليها – كان عليه أن يشتريها أو يستبدلها من ورثة الحِلِّى، ولكنه كان يتسم بالظلم، والطمع، والتعاظم، والعسف: فأقرض ورثة الحِلِّى مالاً وأمهلهم حتى تصرفوا فيه، ثم أعسفهم فى الطلب، وألجأهم إلى أن أعطوه الدار التى لهم فأخذها غصباً وهدمها، وبنى موضعها هذه المدرسة، فبناها بأنواع من الغصب والعسف، ولم يكتف باغتصاب الأرض والسطوة عليها فحسب، بل حشر لبناء وانجاز هذا المدرسة الصُناع من البنائين، والنجارين، والحجارين، والمُرخمين، والفعلة الذين كانوا فى عمائر السلطان [٣٨] وقرر مع الجميع أن يعمل كل منهم فى مدرسته هذه يوماً فى كل أسبوع بغير أجره، فكان يجتمع فيها كل أسبوع سائر الصُناع الموجودين بالقاهرة ومصر، فيجدُّون فى العمل نهارهم كله بغير أجرة وعليهم مملوك من مماليكه ولاّه شَدّ العمارة لم يَرَ الناسُ أظلم منه ولا أعتى ولا أشد بأساً ولا أقسى قلباً، ولا أكثر عنتاً، فلقى العمال منه مشقات لا توصف، وجاء مُناسباً لمولاه. [٣٩]

---

[٣٥] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٣٦-٥٣٨

[٣٦] المقريزى: السلوك، طبعة دار الكتب، ج٢، ق١، ص ١٩٩؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٢) ج١، ص ٢٠١

[٣٧] هو الأمير علاء الدين آقبغا بن عبدالله بن عبدالواحد الناصرى، كان من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وأخو زوجته طغاى. تنقّلت به الأحوال من الجمدارية إلى أن صار أستادار ومقدم المماليك السلطانية، وشدّ العمائر السلطانية، ولم يزل آقبغا مُقرباً عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن تُوفى فى شهر ذى الحجة ٧٤١هـ/ مايو ١٣٤١. للإستزادة راجع: المقريزى: كِتابُ المُقفَّى الكبير، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦١؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ١٢ جزء ، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ومحمد محمد أمين (القاهرة: مركز تحقيق: التراث، ١٩٨٤- ٢٠٠٦) ج٢، ص ٤٨٠-٤٨٢

[٣٨] يُقصد بالسلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون والذى كان عاشقا لحركة التشييد والعمارة، وظل فترات حكمه يُشجع على تشييد العمائر ورعايتها.

[٣٩] شمس الدين الشجاعى ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق: بربارة شِيفر (فيسبادن بألمانيا: فرانتس شتاينر، ١٩٧٧) ص ٢٨؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٤٠-٥٤٤؛ المقريزى: السلوك، طبعة دار الكتب، ج١، ق٢، ص ٤٥٦-٤٥٥؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٢٢؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٣

ولم يغرم الأمير آقبغا من ماله الخاص على عمارة هذه المدرسة شيئا البتة، فحمل إلى هذه العمارة سائر ما يحتاج إليه من الأمتعة وأصناف الآلات، وأنواع الاحتياجات من الحجر والرخام وغيره من غير أن يدفع فى شئ منه ثمناً على الإطلاق، وإنما كان يأخذ ذلك إما بطريق الغصب من الناس أو على سبيل الخيانة من عمائر السلطان، فإنه كان من جملة ما بيده شَدّ العمائر السلطانية. وتناسب هذه الأفعال أنه ما عُرف عنه قط أنه نزل إلى هذه العمارة إلا وضرب فيها عِدَّة من الصناع ضرباً مُبرحاً، فيصير ذلك الضرب زيادة على عَمله بغير أجرة وظل آقبغا يقهر من يعمل فى هذه المدرسة حتى انتهت عمارتها سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٤٠م، فجاءت مُظلمة – على حد تعبير المقريزى – ليست عليها من بهجة المساجد ولا أنس بيوت العبادة شئ البتة؛ لما استُخدم فيها من غصوبة الأرض وقهر الصناع والفعلة وتسخيرهم بغير أجرة. [٤٠]

ومن الجدير بالذكر أن أقبغا لم يُنشئ هذه المدرسة ويختار مُجاورة الأزهر رغبة منه فى عمل الخير أو التبارى بالتقرب إلى الله عزّ وجل، بل أراد هذا الأمير أن يلحق بركب حركة البناء النشطة التى سادت إبان عصره من حيث تبنى السلاطين والأمراء الممالك حركة إنشاء المنشآت الدينية، فتنافسوا فيما بينهم على تشييد تلك العمائر وتباهوا بعمائرهم وما أوقفوه عليها من أوقاف، [٤١] ومن لم يشارك فى حركة البناء النشطة هذه أعتُبر شاذاً. [٤٢] بالتالى شارك الأمير أقبغا فى حركة البناء السائدة آنذاك غير مُكترث بتعاليم الإسلام السمحة والناهية عن اغتصاب الأرض، وتسخير العمال بغير أجرة، واستخدام السطوة واستغلال النفوذ فى تعمير المنشآت الدينية وغيرها.

وقصد الأمير آقبغا فى مجاورة الأزهر أن يُشيِّد مدرسة تكون مُناظرة، ومنافسة لمدرسة الأمير علاء الدين طيبرس[٤٣] خصوصاً أن هذان الأميران اعتُبرَ من كبار أمراء الناصر محمد بن قلاوون وتمتعا بامتيازات قَلَّما تَمتع بها غيرهم آنذاك فقد لاحظنا أن سبق الأمير طيبرس بإنشائه مدرسته لتكون زيادة وتوسعة للجامع الأزهر والتقرب لله تعالى كأحد وجوه البر فزادت شهرته وعلت فى الآفاق سمعته، ويبدو أن الأمير آقبغا حينما نافس طيبرس هذا لم يشغله سوى السمعة، والشهرة وتخليد الاسم، فكان عليه أن يُميِّز مدرسته بمميزات لم تتوفر فى مدرسة مُنافِسه طيبرس المقابلة، ومن ثَمَّ يتفوق عليه ويزدهر.[٤٤] فأوقفها آقبغا لتدريس المذهب الشافعى والمذهب الحنفى، وجعل فيها عِدة من الصوفية وقرر لهم شيخا يجتمعون به لحضور التصوف فى أوقات معينة يُحددها المُنشئ، كما قرر بها طائفة من القراء يقرءون القرآن بشباكها، وعين لها إماماً راتباً، ومؤذنا، وفراشين، وقومة، ومباشرين، وجعل النظر للقاضى الشافعى بديار مصر، وشرط فى كتاب وقفه أن لا يلى

---

[٤٠] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٤٢-٥٤٤

[٤١] سوسن سعد على الشامى: دراسة أثرية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٩٤) ص ١٧٣

[٤٢] ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: حوادثُ الدهور فى مَدى الأيام والشهُور، جزءان، تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٠)ج١، ص ١٣٠-١٣١؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية وثائقية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤) ص ٩٤-٩٥

[٤٣] شمس الدين الشجاعى: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، ص ٢٨

[44] Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, (p. 57)

النظر أحد من ذريته، كما أوقف عليها حوانيت خارج باب زويلة بخط تحت الربع، وقرية بالوجه القبلى. [٤٥] وهذا لم يتفق لمدرسة الأمير طيبرس إذ وُقفت مدرسته لتدريس الفقه الشافعى فقط وخلت من حضور التصوف ولا المتصوفة، بالتالى حقق آقبغا تفوقا ملحوظا فى ترتيب الوظائف بها، ليس هذا فحسب بل جعل مدرسته تفوق فى الوحدات المعمارية بأن زودها بقبة ضريحية ضخمة شغلت الطرف الجنوبى من المدرسة، وقد تميزت بثراء زخارفها وزخارف محرابها البديعة، فكانت هذه القبة أكثر اتساعا وأبهى حُلة من قبة الأمير طيبرس الذى لم يجنح إلى التعقيد وإضافة العديد من الملحقات، والمبالغة فى ثراء زخارفها، وحينما رغب طيبرس فى أن يُدفن بمدرسته؛ تبركاً وقربا من الجامع الأزهر لم يشأ أن يُشيِّد قبة ضخمة تحتل مساحة كبيرة من المدرسة كما فعل آقبغا، بل عَمَدَ طيبرس إلى إضافة قبة دفن على مساحة صغيرة داخل المدرسة فى الركن الشمالى منها بحيث تطل فقط بشباك صغير على الطريق المؤدى لباب الأزهر الرئيسى. [٤٦]

على الرغم من رغبة آقبغا فى تخليد ذكراه من خلال دفنه فى قبته الضخمة الملاصقة لأقدم مساجد القاهرة وأكثرها شهرة إلا أنه لم يتمكن من تحقيق تلك الرغبة، فقد اتهمه السلطان الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون بالانحياز هو وجماعة من الأمراء إلى أخيه الناصر أحمد حينما أعلن عصيانه عليه بالكرك، فأمر السلطان الصالح إسماعيل بالقبض عليه مع بقية الأمراء وسُجن بقلعة دمشق، ثم نُقل إلى الإسكندرية وقُتِل بها فى أواخر سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م، وبقيت قبته الضخمة دون أن يُدفن بها. [٤٧]

وجدير بالذكر أن حقق الأمير آقبغا فى مدرسته تفوقاً ملحوظا على مدرسة الأمير طيبرس، بأن زود الأول مدرسته بمئذنة حجرية افتقدتها المدرسة الطيبراسية. ويذكر المقريزى أن مئذنة المدرسة الأقبغاوية هى أول مئذنة عُملت بديار مصر من الحجر بعد مئذنة مجموعة المنصور قلاوون الكائنة بشارع المعز لدين الله الفاطمى، وإنما كانت المآذن قبل ذلك تُبنى بالآجر. [٤٨]

وعن تخطيط المدرسة الأقبغاوية والطيبراسية فإنهما قد صُمما على نمط الأروقة وليست الإيوانات، فلْوحِظ أن تكونت المدرسة الطيبراسية من مساحة مستطيلة مُقسمة ثلاثة أروقة بواسطة بائكتين عقودها موازية لجدار القبلة دون وجود صحن أو دورقاعة (لوحة رقم:٢) وجاء تخطيط المدرسة الأقبغاوية مُتبعا نظام الأروقة حول صحن أوسط مُغطى بسقف يتوسطه شخشيخة على شكل قبة (لوحة رقم:٣). وكان على الأمير آقبغا أن يرتفع بالبناء حتى يتساوى فى الارتفاع مع

[٤٥] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٤٤؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٢٢؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٣

[٤٦] سوسن سعد على الشامى: دراسة أثرية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى، ص ١٧١، ١٧٤

[٤٧] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٤٦-٥٤٧؛ المقريزى: كِتابُ المُقفَّى الكبير، ج٢، ص ٢٦٠؛ ابن تغرى بردى: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ج٢، ص ٤٨١؛ سوسن سعد على الشامى: دراسة أثرية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى، ص ١٧٤

[٤٨] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٤٢؛ ونعتقد أن هذه المعلومة غير دقيقة، فهناك مآذن بُنيت بالحجر قبل مئذنة الأمير آقبغا مثل مئذنة جامع أحمد بن طولون، ومئذنتى جامع الحاكم بأمر الله الفاطمى.

جدران المدرسة الطيبراسية المواجهة، فأخذ قطعة من سور الجامع الأزهر حتى ساوى بها المدرسة الطيبراسية المقابلة، [٤٩] الأمر الذى أدى إلى إحداث نوع من التناسق المعمارى للمنشأتين، فاحتلت المدرسة الطيبراسية الجانب الغربى أمام مدخل الأزهر القديم على جانبه الأيمن، بينما شغلت المدرسة الأقبغاوية الجانب الشمالى على يسار الداخل فأحدث هذا التقابل نوعا من التوازن المعمارى الملائم لطبيعة العمارة آنذاك. [٥٠]

١-٥- مُجاورة الأمير بشير الجمدار للجامع الأزهر فى إطار التنافسية:

وقد توالت الإضافات على الجامع الأزهر بعد ذلك من قِبل الأمراء المتنافسين بغرض التقرب إلى الله وتخليد الذكرى، فكان من بين الأمراء المتنافسين على الإضافة هذه المرة الأمير الطواشى بشير الجمدار الناصرى، [٥١] حيث سكن دار الأمير فخر الدين أبان الذاهدى الصالحى النجمى بِخُط الأبَّارين [٥٢] بجوار الأزهر بعدما هدمها وعمَّرها داره التى عُرفت بدار بشير الجمدار، وقد أوحى إليه قُربه من الأزهر أن يتبارى مع الأمراء السابقين ويترك فى الجامع الأزهر أثراً صالحاً يُخلد ذكراه خصوصا أنه كان يتولى الإشراف على هذا الجامع، فاستأذن السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون فى أن يُضيف إلى عمارة الجامع الأزهر، فأذِن له السلطان فى ذلك، فقام الطواشى سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م بإزالة المقاصير العديدة التى استُجدت بالجامع، وأخرج الخزائن والصناديق التى وُضعت به حتى ضاق المكان بها وزحمت رحاب الجامع، فنُزع كل ذلك، وتتبع جُدران الجامع وسقوفه بالإصلاح حتى عاد إليها رونقها وبدت وكأنها جديده، كما طلى الجامع بالدهان، وبَلَّطَ أرضيته، ومنع الناس من المرور فيه، ورتَّب فيه مصحفا وجعل له قارئاً، كما أنشأ على الباب القبلى للجامع حانوتاً لسبل الماء العذب فى كل يوم، وجعل فوق الحانوت مكتبا لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله العزيز، ورتَّب أيضا للطلبة الفقراء بالأزهر طعاماً يُطبخ فى كل يوم، وأنزل إليه قدوراً من نحاس جعلها فيه ليس هذا فحسب، بل رتَّب بالجامع درساً للفقهاء من الحنفية لدراسة فقه المذهب الحنفى، وحدد لهم المحراب الكبير بالجامع كموضع جلوسهم أثناء إلقاء الدرس، ووقف على ذلك أوقافا جليلة فترك بالفعل أثراً صالحاً خلَّده من جملة الأمراء الذين أسهموا بوجوه البر لهذا الجامع فى إطار التنافسية. [٥٣]

---

[٤٩] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٥٤٢

[٥٠] سوسن سعد على الشامى: دراسة أثرية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى، ص ١٧٥

[٥١] الطواشى بشير الجمدار هو الذى تولى إتمام بناء مدارس السلطان حسن وتكملته بعد اغتيال السلطان. للإستزادة راجع: المقريزى: الخطط، مجلد ٤، ج١، ص ٢٧٤؛ السيوطى (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م: حُسن المُحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، جزءان، الطبعة الأولى (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨) ج٢، ص ٢٧٠

[٥٢] كان يقع خُط الأبَّارين ما بين الجامع الأزهر والمشهد الحسينى، وكان طريق سير للخلفاء الفاطميين من القصر إلى الجامع الأزهر. للإستزادة راجع: على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٦، ص ٢٥

[٥٣] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٣-١٠٤؛ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٤، ص ٣١-٣٢؛ سوسن سعد على الشامى: دراسة أثرية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى، ص ١٧٦؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١١٧-١١٨؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٥؛ ؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ٢٠٣-٢٠٤

١-٦- مُجاورة الأمير جوهر القنقبائى للأزهر بدافع التنافسية:

اختتم الأمير جوهر القنقبائى [٥٤] – خازندار [٥٥] الملك الأشرف برسباى – الإضافات الأميرية للجامع الأزهر، ورأى أن يُضيف مدرسة خاصة به للجامع الأزهر مُضاهيا الأمير آقبغا وطيبرس. [٥٦] فشيَّد مدرسة سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م بالطرف البحرى لجدار الجامع الشرقى عند باب سر [٥٧] الجامع الأزهر تجاه زاوية العميان، [٥٨] وعلى الرغم من صغر حجم هذه المدرسة إلا أنها اشتملت على كل تفاصيل المدراس (شكل رقم: ١) فهى تحتوى على أربعة إيوانات يتوسطها صحن أرضيته من الرخام الملون وكذا أرضية الإيوانات (لوحة رقم:٤). كما تمتاز المدرسة الجوهرية بتماثل أجزائها تماثلا تاماً، أما أبواب هذه المدرسة ودواليبها الحائطية فقد عنى بنجارتها عناية فائقة: فقد حُفرت فى أخشابها زخارف نباتية وهندسية، بالإضافة إلى أشرطة كتابية طُعمت بالعاج والصدف والأبنوس، فجاءت تحفة فنية رائعة. وبالطرف الغربى للمدرسة توجد القبة الضريحية وهى عبارة عن غرفة مربعة صغيرة فُرشت أرضيتها بالرخام الملون، ويعلو هذه الغرفة قُبة نُقش عليها من الخارج زخارف نباتية جميلة، وتعتبر هذه القبة أصغر قبة فى مصر بعد قبة المدرسة القاصدية، [٥٩] وفى وسط القبة الضريحية هذه توجد تركيبة رخامية تعلو قبر منشئ المدرسة جوهر القنقبائى (لوحة رقم:٥). [٦٠]

---

[٥٤] جوهر القنقبائى نسبة لقنقباى الشركسى الطواشى الحبشى الخازندار الزمام بالباب السلطانى. والزمام بالباب السلطانى هو الشخص الموكل بالمحافظة على الحريم السلطانى ويتحدث من الخارج على باب ستارة السلطان وظل فى عزٍ حتى وافته المنية فى مُستهل شهر شعبان سنة ٨٤٤هـ/ ديسمبر سنة ١٤٤٠م. للإستزادة راجع: القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ج٥، ص ٤٥٩-٤٦٠؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،ج١٥، طبعة دار الكتب، ص ٣٤٥

[٥٥] تم تحقيقه فى نفس الفصل، هامش ١٦

[56] Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, (p. 57)

[٥٧] يُعتبر باب السر أحد عناصر الوقاية التى سادت فى المنشآت المعمارية الإسلامية بشكلٍ عام والمنشآت المملوكية بصفة خاصة سواء الدينية منها أو المدنية، وكان هذا الباب عنصراً يتقى به السلطان أو الأمير ما قد يتعرض له من محاصرة أثناء تواجده فى المبنى فيهرب دون علم محاربيه، وإمعاناً فى التمويه جُعلت أبواب السر صغيرة الحجم مُنزوية فى أحد أركان المبنى لا تلقى من العناية بزخرفها وجمالها ما تلقاه المداخل الأخرى. للاستزادة راجع: محمد عبدالستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، ص ٤١٣

[٥٨] تجاور زاوية العميان المدرسة الجوهرية، ويفصل بينهما ممر من الحجر يمشى عليه المتوضئون من ميضأتها، وهى من إنشاء عثمان كتخدا والد عبدالرحمن كتخدا. للإستزادة راجع: على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٢، ص ٢٥٨

[٥٩] تقع المدرسة القاصدية بين باب النصر ورحبة جامع الحاكم بأمر الله، وأطلق عليها فيما بعد زاوية القاصد وبداخلها ضريح الشيخ أحمد القاصد الذى عُرفت به التسمية. للإستزادة راجع: المقريزى: الخطط، ج٢، ص ٢٥٣؛ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٢، ص ٢٠٢

[٦٠] عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٢٢؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٨؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ٢٠٦-٢٠٧

٢- التنافسية بين سلاطين الدولة المملوكية على الإضافة للجامع الأزهر:

عَلِمنا أن أمراء الدولة المملوكية الكبار كان لهم السبق فى العناية بالجامع الأزهر ورعايته فتباروا وتنافسوا فيما بينهم على الإضافة لهذا الجامع ومجاورته، وانعكس ذلك بالازدهار على عمارة الجامع الأزهر. ولم يقف سلاطين مصر المملوكية مكتوفى الأيدى أمام عُلو همة الأمراء فى رعايتهم لهذا الجامع، بل نالتهم يد الغيرة البَنَّائَة الحسنة، فأضافوا إلى الأزهر وتنافسوا فيما بينهم مُحاكين هؤلاء الأمراء، فَخلَّفوا سجلا حافلا من الوحدات المعمارية مازال يحكى عظمتهم ويعكس لنا عُلو همتهم. ويظهر هذا جلياً إبان دولة المماليك الجركسية، فكان أول سلطان مملوكى يُولِى اهتمامه برعاية عمارة الجامع الأزهر بدافع المنافسة وتخليد الذكرى كان السلطان الظاهر برقوق بن آنص. [٦١]

٢-١- منافسة السلطان الظاهر برقوق على الإضافة للجامع الأزهر:

اعتُبرت المآذن رمزاً يُعبِّر به المُنشئ عن مكانته الاجتماعية والسُلطوية، ويُظهر بها عُلو همته بين نظرائه، [٦٢] والمآذن بارتفاعها الشاهق تُعد أحد أهم عناصر الظهور [٦٣] الرأسية فى العمارة الإسلامية التى تُحقق الغرض التنافسى فى الأساس

---

[٦١] لم يُشارك سلاطين مصر المملوكية البحرية فى هذه التنافسية، ولم يضيفوا بأنفسهم للجامع الأزهر، بل كانت إضافاتهم للأزهر مُجرد استجابة لظروف معينة خارج نطاق التنافسية. فقِيل أن الظاهر بيبرس أضاف منبر للجامع الأزهر من الخشب إلى جانب المحراب، لم يتبقَ من هذا المنبر سوى لوحة تذكارية محفوظة بمتحف الجزائر، وربُما كان هذا المنبر من إضافات الأمير أيدمر الحِلِّى أو بيلبك الخازندار، وكان من الطبيعى أن يُذكر اسم السلطان عليها كنوع من الولاء والخضوع. ولو كان الظاهر بيبرس هو الذى أضاف المنبر لوجب عليه حضور الافتتاح بيوم الجمعة الذى دعاه لحضوره أيدمر الحِلِّى ولم يُلبى الدعوة، ولو صحت رواية اضافة بيبرس لهذا المنبر بنفسه لم يُشار أن هذه الإضافة كانت بدافع المنافسة، وربُما كانت لها ظروف أخرى لم يُكشف عنها النقاب لليوم. أما عن إضافة قلاوون فكان هذا بسبب شكوة قاضى القضاة وناظر الأحباس تقى الدين أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن بنت الأعز للسلطان قلاوون فحْوى هذه الشكوة سُوء حال جامع عمرو بن العاص بمصر، وسوء حال الجامع الأزهر بالقاهرة، فالأحباس ساء حالها، وتلبية لشكوى قاضى القضاة: أمر قلاوون الأمير حسام الدين طرنطاى بعمارة الجامع الأزهر، كما عهد إلى الأمير عزالدين الأفرم بعمارة جامع عمرو بن العاص. للإستزادة راجع: ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، ص ٧٠؛ المقريزى: الخطط، ج٤، ص ٢٥؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧١؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ٢٠٠

[62] Oleg Grabar: *The Formation of Islamic Art*, 3rd edn (London: Yale University Press, 1978) p. 120; R. Stephen Humphreys, The Expressive Intent of the Mamluk Architecture of Cairo: A Preliminary Essay, ***Studia Islamica***, Vol. 35 (1972), PP. 69-119 (p. 112)

[٦٣] الظهور (Exposure) هو مفهوم يعنى الاتجاه بالعمارة نحو الخارج، ولعل منارات المساجد هى إحدى العناصر الأبرز التى تُجسد مفهوم الظهور فى عمارة المدينة الإسلامية، ويأتى هذا العنصر الرأسى لكسر التمدد الأفقى للمدينة الإسلامية ويكسبها بُعداً رأسيا، وبغير هذه العناصر الرأسية تُصبح المدينة الإسلامية امتداداً أفقياً خاليا من أى إشارة لوجود الحياة بها، وبطبيعة الحال فإن للمآذن – باعتبارها أحد العناصر الرأسية – تأثيرات بصرية ورمزية فى النسيج الذهنى والثقافى لساكنى تلك المُدن. للاستزادة راجع: هانى محمد الجواهرة القحطانى: تحليل بنيوى للعمارة الإسلامية: الاحتواء، الظهور، التحول، الطبقات، التكرار، ودورها فى تكوين العمارة الإسلامية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مُجلد ٢٥، العدد ٩٨ (٢٠٠٧) ص ص. ١١-٥١ (ص١٩-٢٣)؛ محمد عبدالستار عثمان: سامرائيات:

ولهذا لُوحِظ اهتمام السلاطين بهذه الوحدة المعمارية خصوصا فى الجامع الأزهر. فأضحى كل سلطان مملوكى يتبارى مع نظيره على هذه الوحدة المعمارية، وأصبح هناك عملية تحسين مستمرة أثَّرت بالازدهار على شكل المئذنة وأبعادها، وعناصرها المعمارية وكذلك الزخرفية. وكان السلطان الظاهر برقوق أول من اهتم من السلاطين بهذه الوحدة المعمارية الطريفة، فكان للجامع الأزهر مئذنة قصيرة وبسيطة بالجهة البحرية، فشرع السلطان برقوق سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م بهدم هذه المئذنة المتواضعة وأمر أن تُبنى مئذنة أخرى مكانها بحيث تكون أعلى منها ارتفاعاً وبالفعل عُمِّرت أطول مما كانت عليه فى السابق. [٦٤] فيُعد الارتفاع هنا أحد مؤشرات الظهور الذى يُحقق الغرض التنافسى ورُبما أدرك السلطان برقوق هذا جيداً، بالتالى دفع من ماله الخاص نفقات بناء هذه المئذنة التى بلغت خمسة عشر ألف درهم نقرة، وتم بناؤها فى شهر ربيع الآخر من ذات السنة واحتفل بإقامتها فى ليلة جمعة هذا الشهر، وعُلِّقت القناديل فى أعلاها وأُوقدت، واجتمع القُرّاء والوعاّظ فى الجامع وتلوا ختمة شريفة ودعوا للسلطان. [٦٥]

٢-٢- الأزهر فى عهد السلطان المؤيد شيخ والإضافة له بدافع المنافسة:

حرص المؤيد شيخ على الاهتمام بالجامع الأزهر؛ لما له من أهمية دعائية ودور سياسى رفيع فسار على نهج أستاذه الملك الظاهر برقوق فى رعايته للأزهر وخصوصاً المآذن. فبعد زهاء سبع عشرة سنة من إضافة برقوق مئذنة للجامع الأزهر، ظهر بها خلل ومالت فى شهر شوال من سنة ٨١٧هـ/ يناير سنة ١٤١٥م، وخشى المؤيد شيخ من سقوطها، فأمر بهدمها وتجديدها. وهنا لم يستجدها السلطان المؤيد شيخ كما كانت على حالها فى عهد السلطان برقوق، بل عَمَدَ المؤيد أن يُضفى عليها بصمته المعمارية ومن ثمّ يجعلها أفخم مما كانت عليه فى السابق بحيث يزهو على أستاذه برقوق ويفوقه، فاستجدها كلها بالحجر المنحوت وجدد تحتها بوابة جديدة أعاد بناءها بالحجر ونقش اسمه عليها كنوع من التخليد. [٦٦] ولم تستغرق مُدة بناء مئذنة المؤيد والبوابة سوى تسعة أشهر فقط حيث اكتمل البناء وأنجز فى جمادى الآخرة من سنة ٨١٨هـ/ أغسطس سنة

فصول فى التخطيط العمرانى والمنشآت المعمارية فى مدينة سامراء (٢٦٧-٢٢١هـ/ ٨٣٦-٨٨٠م) تفسير جديد، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٢٢) ص ٢٧٩-٢٩١

[٦٤] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٤

[٦٥] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٤؛ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٤، ص ٣٢؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١١٩؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٧

[٦٦] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٤؛ ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: إنباءُ الغُمرْ بأبناءِ العُمرْ، تحقيق: حسن حبشى، ٤ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١١) ج٣، ص ٤٠؛ الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشى، ٣ أجزاء (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠) ج٢، ص ٤٩٢على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٤، ص ٣٢؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١١٩؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٧؛

Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, (p. 58)

١٤١٥م. [٦٧] وقد ساعد على انجاز العمل توافر الأحجار المنحوتة اللازمة له بسهولة ويُسر والتى جُلبت من مدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين بالصوة [٦٨] وقد تهدمت هذه المدرسة على يد السلطان الناصر فرج بن برقوق.

٢-٣- الأزهر فى عهد السلطان برسباى والتبارى على الإضافة له:

أسهم السلطان برسباى فى المنافسة على الإضافة للجامع الأزهر وبالأخص المئذنة التى استجدها السلطان المؤيد شيخ سالفة الذِكر والتى ظهر فيها تصدع وميول حيث أوشكت على السقوط، فهدمها السلطان برسباى فى شهر صفر سنة ٨٢٧هـ/ يناير سنة ١٤٢٤م، وأعاد بناءها على أصح ما يكون، فجاءت غاية فى الحسن أكثر مما كانت عليه فى السابق. [٦٩] ومن المُلاحظ أن هذه المئذنة قد استُجدت على يدِ ثلاثة سلاطين مُتعاقبين تحقيقا لمؤشر الظهور الذى يُحقق الغرض التنافسى فى الأساس، إذ حاول كل سلطان منهم أن يتسامى على الآخر ويتفاخر برعايته وإضافته لهذه المئذنة، ولسوء الحظ لم تبق هذه المئذنة بل هُدمت فى ظروف غير معلومة وبالتالى لم نستطع أن نُحصى مظاهر التنافسية التى حظيت بها.

كما أن برسباى لم يكتف بتجديد هذه المئذنة فحسب، بل وجّه أنظاره لتزويد الجامع بإحدى مصادر المياه كنوع من وجوه البر، فابتدأ فى شوال سنة ٨٢٧هـ/ سبتمبر سنة ١٤٢٤م بحفر صهريج للمياه بوسط الجامع الأزهر، وأثناء الحفر وُجِد

---

[٦٧] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٥؛ ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمْرْ بأَبناءِ العُمْرْ، ج٣، ص ٤٠

[٦٨] ذُكر فى نسخة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى، والتى طُبعت بمكتبة الثقافة الدينية:" أن الحجر الذى استُخدم فى بناء منارة المؤيد شيخ والبوابة جئ به من مدرسة الأشرف خليل التى كانت تجاه قلعة الجبل، وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق، وقام بعمارة ذلك الأمير تاج الدين الشوبكى – والى القاهرة ومُحتسبها – إلى أن تمت فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة ". وقد نقل هذه الرواية عديد من الباحثين – أمثال الدكتور عبدالعزيز الشناوى، والدكتورة دوريس أبو سيف – دون تدقيق وتمحيص بأن الأشرف خليل لم يُشيِّد مدرسة تجاه القلعة، بل شيَّد مدرسته مجاورة لقبة شجر الدر بالقرب من المشهد النفيسى، وأن الذى شيد مدرسته مواجهة للقلعة هو الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون، حيث شيدها فى مواجهة القلعة لمنافسة عمه السلطان حسن. ونسخة الخطط التى طبعتها مكتبة الثقافة الدينية والتى اعتمد عليها الباحثين سالفى الذكر كانت مشوبة بالأخطاء؛ بالتالى أعيد تحقيق الخطط للمقريزى على يد الدكتور أيمن فؤاد سيد، وأوضح بشكلٍ جلى هذا اللغط وأشار فى تحقيقة أن المدرسة التى استُمدت منها أحجار هذه المئذنة والبوابة هى مدرسة الأشرف شعبان بن حسين بن قلاوون وليست مدرسة الأشرف خليل. للإستزادة راجع: المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية ، جزأين، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧) ج٢، ص ٢٧٦؛ المقريزى: الخطط، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ج٤، ص ١٠٤-١٠٥؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ج١، ق١، ص ٣٧٦؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١١٩؛

Doris Behrens Abouseif: *Cairo of the Mamluks: A History of the Architecture and its Culture* (Cairo: American University in Cairo press, 2007) p. 143

[٦٩] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٥؛ ابن حجر العسقلانى: إنباءُ الغُمْرْ بأَبناءِ العُمْرْ، ج٣، ص ٣٢٥؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٢٠؛

Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, (p. 58)

هناك آثار فسقية ماء قديمة، فلما أُزيلت وُجد تحتها بقايا رِمِم أموات، فتم إزالتهم ودفنهم، واستمرت أعمال الحفر والبناء حتى كمل الصهريج فى شهر ربيع الأول سنة ٨٢٨هـ/ فبراير سنة ١٤٢٥م، وبنى بأعلاه مصطبة فوقها قُبة برسم تسبيل المياه، كما غرس بصحن الجامع أربع شجرات نارنج فلم تفلح وهلكت من الذباب. [٧٠]

٢-٤- السلطان الأشرف قايتباى يفوق فى إضافاته للجامع الأزهر جُل نُظرائه:

شغف السلطان الأشرف قايتباى بحركة الإنشاء والتعمير أيما شغف، ومن نوادره كثرة العمائر والأبنية – سواء التى أنشأها أو جددها – التى قلَّ إن وقعت أو لم تقع لملك مثله. [٧١] وكان للجامع الأزهر نصيب وافر فى جملة اهتمامات ومشروعات قايتباى المعمارية، فقد شهد تجديداً شاملاً وإنشاءات عديدة على يد كبار سلاطين دولة المماليك الجراكسة سالفى الذكر، ولعل أهم العمارة التى أُجريت للأزهر إبان فترة حكم دولة المماليك الجراكسة هى عِمارة وإضافات السلطان قايتباى. [٧٢] فكان قايتباى أكثر السلاطين رعاية واعتناءً بالجامع الأزهر وصدى أعماله فيه تؤكد المناخ التنافسى حيث فاق كل من سبقه حتى نُعت " **بحامى الأزهر وراعيه** " [٧٣] وقد عنى بوحدة المئذنة التى تبارى فى تجديدها أسلافه من السلاطين، فكانت مئذنة الجامع الأزهر أول مشروعاته المعمارية على الإطلاق؛ لما لها من بُعد تنافسى خصوصا فى هذا الجامع، ففى شهر رجب سنة ٨٧٣هـ/ يناير سنة ١٤٦٨م – أى بعد اعتلائه الحكم بسنة واحدة فقط – هدم باب الجامع الأزهر الكبير الغربى وهو الباب القديم للجامع، وجدده على ما هو عليه الآن: فجاء غاية فى الثراء الزخرفى والنقوش الكتابية، كما حفِل بنقوش وكتابات كوفية مزخرفة نادر وجودها إبان عصر الأشرف قايتباى وأقام على يُمنة هذا الباب منارة رشيقة غاية فى الإبداع، [٧٤] فجاءت هذه المئذنة بحق تُحفة فنية ومعمارية رائعة أبدع فى تصميمها المعمار المملوكى حيث تميزت بالرشاقة والتناسق، كما أبدع

[٧٠] المقريزى: الخطط، ج٤، ص ١٠٦؛ المقريزى: السلوك، ، ج٤، ق٢، ص ٦٦٨، ٦٨٢؛ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٤، ص ٣٢؛ عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١٢٠-١٢١

[٧١] ابن شاهين الحنفى (زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الحنفى) ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م: كتاب الروض الباسم فى حوادث العُمر والتَّراجم، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٤) ج٣، ص ٣٥٤

[٧٢] حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٥٥

[٧٣] محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١١٩؛ محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١٢٩

[٧٤] حسنى محمد نويصر: مُنشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة: دراسة معمارية وأثرية، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٧٥) ص ١١؛ حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٥٥؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ٢٠٧؛

Amy Whittier Newhall: The Patronage of the Mamluk Sultan Qā'it Bay (872-901/1468-1496), a doctorate thesis (Harvard University: The Graduate School of Arts and Sciences, 1987) p. 92

فى زخرفتها الفنان المملوكى بحيث لم يترك فيها قدر أُنملة إلا وملأها بالزخارف النباتية أو الهندسية الرائعة، وكذلك النقوش الكتابية التى تنوعت على بدنها ما بين كتابات كوفية [٧٥] ونسخية. [٧٦]

وقد بُنيت هذه المئذنة من قاعدتها إلى قمتها بالحجر، وتتكون من ثلاثة مستويات: فتبدأ بقاعدة مُربعة قصيرة، ثم مستوى مُثمن أول مشطوف الأركان بمثلثات ركنية، ويُعد هذا المستوى تحفة فنية رائعة لا مثيل له فى مآذن القاهرة حيث تناهى فى زخرفته الفنان المسلم، فقد قُسِّم هذا المستوى إلى جزأين من خلال جفت لاعب بديع ذو ميمات دائرية رائعة: فبدأ الجزء الأول أعلى مناطق الانتقال بشريط كتابى بالخط الكوفى المزهر المحفور حفراً بارزاً تتخلله زخارف نباتية غاية فى الدقة والاتقان، يعلو هذا الشريط فى الأضلاع الأربعة المقابلة للجهات الأصلية مقرنصات تتألف من ثلاث حطات [٧٧] تحمل الشرفات الأربعة الحجرية التى يزدان بها الجزء الثانى فى نفس المستوى، وتزدان الأضلاع الأربعة الباقية بالجزء الأول هذا بجفوت لاعبة وميمات تكون أشكال مستطيلات تحصر بداخلها زخارف هندسية قوامها وحدات من الطبق النجمى وزخارف نباتية قوامها أفرع وأرواق مُتعددة الفصوص، ويفصل بين الأضلاع الثمانية فى هذا الجزء فى الأركان جفت لاعب ذى ميمات.

كما يزدان الجزء الثانى من المستوى الأول فى الأضلاع الأربعة المقابلة للجهات الأصلية بأربع فتحات مستطيلة على شكل عقد مُفصّص يتقدمه شرفة حجرية بارزة محمولة على كوابيل حجرية مقرنصة، أما الأضلاع الأربعة الأخرى فهى مُضاهيات وفيها أبدع الفنان المسلم حيث لم يتركها دون زخرفة، بل قام بزخرفتها بتكوينات هندسية ونباتية بالتعاقب. هذا وقد زُينت زوايا هذا البدن بِحِزم من ثلاثة أعمدة مدمجة، وعُدت هذه الأعمدة أكمل الأمثلة من الناحية الفنية التى تفرد بها قايتباى على غيره، فنجد فى هذه الأعمدة غزارة فنية من ناحية استخدام الحفر البارز على بدن العمود وتنوع زخارفه ما بين ورقة نباتية ثُلاثية، وأشكال هندسية خُماسية وسداسية، وخطوط زجزاجية. [٧٨] وينتهى هذا البدن المثمن بحنايا جمالونية محدودة بجفوت حجرية بارزة وميمات، ثم شريط كتابى يعلوه مقرنصات حاملة لشرفة حجرية مستديرة يعلوها المستوى الثانى: وهو مُثمن المسقط امتاز بوجود سلمين بداخله فيما بين الشرفة الأولى والشرفة الثانية، [٧٩] وهذا الطابق مزخرف بزخارف حجرية مجدولة بارزة رائعة التكوين ومحدودة بإطارات حجرية من أعلى ومن أسفل تزدان بتكوينات هندسية قوامها زخارف حجرية

---

[٧٥] أصبح استخدام الكتابة الكوفية فى العصر المملوكى الجركسى من النوادر، وقد حاول قايتباى إحياء الخط الكوفى خصوصاً على عمائر عصره. للإستزادة راجع:
Doris Behrens Abouseif: *The Minarets of Cairo* (Cairo: American University in Cairo press, 2010) p. 260

[٧٦] عبدالله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكى: دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراة غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٩٤) ص ٤٢٢؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ١٩٦؛ Doris Behrens Abouseif: *The Minarets of Cairo*, p. 260– 261

[٧٧] يشغل الأضلاع الأربعة مقرنصات من ثلاث حطات ما عدا الضلع بالجهة الجنوبية الغربية، فإنه خالٍ من المقرنصات ويوجد به كابولى حجرى يحمل الشرفة الحجرية أعلاه، ولا يُعلم لماذا خلا هذا الضلع من المقرنصات، فربما خضع لترميم لاحق

[٧٨] حسنى محمد نويصر: مُنشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة: دراسة معمارية وآثرية، ص ٢٨١

[٧٩] عبدالله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكى، ص ٤٢٦

متداخله ويلى هذا البدن شرفة حجرية ثانية مُستديرة حُملت على مقرنصات يعلوها جوسق حجرى مُستدير، ثم يلى الجوسق شرفة ثالثة محمولة على مقرنصات يلها بدن حجرى مستدير يحمل رقبة ترتكز عليها خوذة المئذنة ذات الشكل الكُمثرى يعلوها قائم معدنى مُحلى بهلال (لوحة رقم:٦). فجاءت هذه المئذنة غاية فى الإبداع الزخرفى الفريد مما جعلها آية من جماليات الفن المملوكى، فضلا عن رشاقتها وتناسقها الأمر الذى أثار السلطان قانصوه الغورى فيما بعد لمنافستها ومحاولة التفوق عليها من خلال إضافة مئذنة له بالجامع الأزهر.

ولم تقتصر رعاية قايتباى للأزهر على تشييد وتجديد المئذنة والبوابة كأحد عناصر الظهور التى تحقق الغرض التنافسى، بل كان دائم التردد على الأزهر إما مُضيفاً أو مُرمماً فى كل زيارة له، فتجسدت صور رعايته للأزهر فى ذى الحجة سنة ٨٨١هـ/ إبريل سنة ١٤٧٧م حيث ركب السلطان قايتباى وتوجه إلى الأزهر وكان معه كاتب السر وبعض أمراؤه فلما دخل الجامع طلب قاضى القضاة وصعد وإياهم إلى سطح الجامع، فرسَّم بهدم ما كان بسطح الجامع من الخلاوى وحكم القاضى المالكى بهدم الجميع، ثم إنه رسَّم بترميم ما فسد من عمارة الجامع وصرف على ذلك نحواً من عشرة آلاف دينار، كما أنفق على الفقراء المقيمين بالجامع نحو من ألف دينار، ثم ركب وعاد إلى القلعة. [٨٠]

وفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م أضاف قايتباى للأزهر فسقية مُعتبرة وسبيلاً ومكتباً على باب الجامع، [٨١] كما عمل السلطان قايتباى عِدة إصلاحات وتجديدات بالأزهر فى حدود سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، وذلك بمُشارفة الخواجا مصطفى بن رستم، [٨٢] وكانت من أهم هذه التجديدات عمل مقصورة خشبية على وجه أروقة الجامع الثلاثة حول الصحن. [٨٣] فيبدو أن قايتباى كان بالفعل أكثر سلاطين دولة المماليك الجراكسة اهتماما بالأزهر وراعيا له حتى استحق لقب حامى الأزهر وراعيه. [٨٤]

٢-٥- منافسة السلطان قانصوه الغورى لأستاذه قايتباى على الإضافة للجامع الأزهر:

سبق أن أوضحنا مُضاهات السلطان قانصوه الغورى لأستاذه قايتباى وخصوصا فى عمارة مجموعته بالشرابشيين، هذا وقد نافس الغورى أستاذه أيضا وتبارى معه على دكة المحاكمات بالحوش السلطانى بقلعة الجبل، وبالتالى ازدهرت عمارته وذاعت فى الآفاق سمعته. وكان للجامع الأزهر نصيب وافر من إسهامات وإضافات السلطان الغورى بدافع التنافس مع أستاذه قايتباى الذى شيَّد مئذنة عُدَّت من أهم وأجمل مآذن العصر المملوكى الجركسى والتى أظهرت عمارتها جمال النِسب

[٨٠] ابن شاهين الحنفى (زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الحنفى) ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م: نيلُ الأمل فى ذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى، ٩ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢) ج٧، ص ١٧٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص ١٢٤

[٨١] على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٤، ص ٣٣

[٨٢] هو الخواجا مصطفى بن الخواجا محمود بن الخواجا رستم

[٨٣] حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ج١، ص ٥٥

[٨٤] محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، ج١، ص ١١٩؛ محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص ١٢٩؛ بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ص ٧٩-٨٠

وبراعة التناسق والرشاقة، بالتالى كان لها تأثير فاعل على طموحات السلطان الغورى المعمارية، وربُما استرعت أنظاره، وشغلت لُبه وأفكاره، فقرر الغورى أن يُعمّر مئذنة بالأزهر تكون مُضاهية لمئذنة أستاذه، فَاستغل المساحة المتاحة جنوب غرب مئذنة أستاذه قايتباى وعمَّر مئذنة مُعتبرة عام ٩١٥هـ/ ١٥١٤م، [٨٥] وبناها من قاعدتها إلى قمتها بالحجر، فتكونت من قاعدة حجرية مُربعة تميزت بارتفاعها وضخامتها، ثم مستوى أول مشطوف الأركان بمثلثات ركنية، ويشبه هذا المستوى إلى حدٍ كبير فى العناصر المعمارية والزخرفية للمستوى الأول بمئذنة قايتباى المجاورة إلا أنه ليس بمستوى فخامة وثراء زخارف مئذنة قايتباى. ويلى المستوى الأول بمئذنة قانصوه الغورى بالأزهر الشرفة الحجرية الأولى يعلوها مستوى ثان مُثمن المسقط يتألف من ستة عشر ضلعا ويزدان بزخارف قاشانى ملبس فى الحجر عبارة عن أسهم متقابلة فى توازن بديع وتناسق رائع باللون الأزرق، وتؤطر زخارف القاشانى هذه من أسفل بشريط زخرفى قوامه زخارف نباتية محفورة فى الحجر، كما يزدان من أعلى بشريط آخر قوامه زخرفة هندسية مجدولة تتوج المستوى الثانى، كما تَميَّز هذا المستوى أيضا بميزة احتوائه على سلمين بين الشرفة الأولى والثانية بحيث لا يرى الصاعد فى أحدهما الهابط من السلم الآخر، [٨٦] وهذه الميزة قد استعارها السلطان قانصوه من مئذنة أستاذة قايتباى المجاورة والتى تميزت بسلمين بنفس المستوى. [٨٧] ويعلو المستوى الثانى هذا شرفة حجرية يليها الدورة الثالثة والتى تميزت بازدواج الرءوس، [٨٨] حيث تقام كل رأس على بدن حجرى مستطيل ومنفصل بذاته عن الآخر، وقد ازدانت واجهات البدنين بعقود مدببة بواقع عقد فى كل واجهة من الواجهات الأربع بالبدن، كما يعلو كل بدن منهما شرفة ثالثة للآذان مُربعة المسقط محمولة على مقرنص من حطتين، ثم يعلو كل شرفة بدنٌ حجرى آخر مستدير تعلوه رقبة حجرية تحمل خوذة المئذنة الحجرية التى على هيئة كمثرية الشكل (لوحة رقم:٧).

ومن المُلاحظ أن قانصوه الغورى لم يكن مُضاهياً لمئذنة أستاذه فى تصميمها فحسب بل حاول تحقيق التفوق عليه بأن جعل مئذنته أعلى فى الارتفاع من مئذنة أستاذه المجاورة. ٨٩ فقد استغل معمار قايتباى الرواق الشمالى الغربى للجامع الأزهر كأساس جاهز يُساعد على إظهار المئذنة ومن ثم شُيِّدت مئذنة قايتباى أعلى سطح الرواق وجاء ارتفاعها من مستوى أرضية واجهة الرواق الشمالى الغربى نحو ٣٩ متر، وجدير بالذكر أن عَمَدَ الغورى الارتفاع بمئذنته بحيث تفوق مئذنة أستاذه المجاورة: فاستغل المعمار نفس الأساس الجاهز الذى استغله معمار قايتباى من قبل وشُيِّدت مئذنة الغورى أعلى الرواق الشمالى الغربى بالأزهر بحيث بلغ ارتفاعها نحو ٥١ متر من مستوى أرضية الرواق، بالتالى حقق الغورى تفوقا ملحوظا على أستاذه بأن جاءت مئذنته أعلى فى الارتفاع من مئذنة قايتباى وذلك بفارق ١٢متر (شكل رقم:٢) (لوحة رقم:٨).

---

[٨٥] على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج٤، ص ٣٣؛ محمد فهيم: مدرسة السلطان الغورى: دراسة آثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٧٧) ص ٤١

[٨٦] سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ٢٠٨

[87] Doris Behrens Abouseif: *The Minarets of Cairo*, p. 278-279

[٨٨] ابن إياس: بدائع الزهور، ج٥، ص ٩٤

[٨٩] عبدالله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكى، ص ٥٢٧؛ سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ٢٠٨

كما امتازت مئذنة الغورى بتلبيس القاشانى ببدن دورتها الثانية [٩٠] فضلا عن تفرد هذا البدن الذى تألف من ستة عشر ضلعاً وبالتالى تجاوز بدن مئذنة قايتباى – المُكون من ثمانية أضلاع فقط – وفاق مآذن القاهرة جُلها التى لم تتجاوز الثمانة أضلاع. [٩١] هذا وقد حقق قانصوه الغورى ازدهارا ملحوظا على أستاذه قايتباى بأن ضاعف الدورة الأخيرة بمئذنته بحيث أصبحت تزدان برأسين غاية فى الابداع والتناسق بدلا من رأس واحدة كما فى مئذنة قايتباى المجاورة، وعلى الرغم من تفوق مئذنة الغورى على مئذنة قايتباى فى الارتفاع والحجم، وكذلك ازدواج الرءوس إلاّ أنها لم تستطع أن تُنافس مئذنة قايتباى فى رشاقتها وحسن تناسقها وثرائها الزخرفى، [٩٢] ففقدت مئذنة الغورى عنصر الرشاقة والجمال، والإثراء الزخرفى إذا ما قورنت بمئذنة قايتباى المجاورة لها. [٩٣]

النتـائـج:

– اعتُبرت التنافسية من المكونات الأساسية فى ثقافة المماليك وقد أوضحت الدراسة شواهدها التاريخية والآثارية المعمارية حيث كانت التنافسية أحد أسباب ازدهار العمارة المملوكية وبخاصة عمارة الجامع الأزهر إبان الفترة المملوكية.

– اثبتت الدراسة أن أمراء مصر المملوكية كان لهم السبق فى هذه التنافسية عن السلاطين حيث تباروا الأمراء وتسابقوا فيما بينهم على تجديد عمارة الأزهر والإضافة له: فعمَّروا الواهى من أركان الجامع وأصلحوا سقوفه واستجدوا به المقاصير فى إطار التنافس على أعمال الخير وتخليد الذكرى، ليس هذا فحسب بل ألحق الأمراء البارزين – أمثال الأمير طيبرس، والأمير أقبغا، والأمير جوهر القنقبائى – المدارس التعليمية بالأزهر فى إطار التنافس على المجاورة ومن ثم تكون زيادة للجامع الأزهر فى أوقات الصلاة.

– كشفت الدراسة عن إسهامات سلاطين مصر المملوكية وإبداعاتهم حيث لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام علو همة الأمراء فى رعايتهم واعتنائهم بالأزهر، بل نالتهم يد الغيرة البَنَّائة، فأضافوا إلى الأزهر وتنافسوا فيما بينهم مُحاكين هؤلاء الأمراء وأشارت الدراسة إلى المئذنة كأحد الوحدات المعمارية الهامة المُتنافس عليها من قِبَل هؤلاء السلاطين؛ لكونها أحد مؤشرات الظهور التى تحقق الغرض التنافسى فى الأساس، فحرص كل سلطان أن يظهر تفوقه فى عمارة مئذنته من حيث الارتفاع

[٩٠] من المتعارف عليه أن رقاب القباب وقمم المآذن وبعض الأجزاء فى أبدانها بدأت تُكسى بالقاشانى فى عصر المماليك البحرية إلا أن فترة ازدهار استخدام القاشانى كان إبان فترة حكم السطان قانصوه الغورى. للإستزادة راجع: زكى محمد حسن: فنون الإسلام، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨) ص ١٤٨

[٩١] سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ج١، ص ١٩٧

[٩٢] محمد فهيم: مدرسة السلطان الغورى: دراسة آثرية معمارية، ص ٤١

[93] Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, (p. 58)

والحجم والإثراء الزخرفى، وتعد مئذنة السلطان قايتباى ومئذنة السلطان قانصوه الغورى من أبرز الشواهد المعمارية الباقية التى تُشير إلى التنافسية فى إطار التفوق والإبداع، وقد أثبت الواقع الأثرى تفوق الغورى على أستاذه قايتباى فى القياسات بأن جعل مئذنته أعلى ارتفاعا من مئذنة أستاذه بفارق ١٢ متر فضلا عن مضاعفة الدورة الأخيرة بمئذنة الغورى حيث أصبحت تزدان برأسين غاية فى الابداع والتناسق بدلا من رأس واحدة كما فى مئذنة قايتباى المجاورة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

- ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ أجزاء، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الأولى (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤)

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ١٢ جزء ، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز ومحمد محمد أمين (القاهرة: مركز تحقيق: التراث، ١٩٨٤-٢٠٠٦)

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: الدليل الشافى على المنهل الصافى، جزءان، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الطبعة الثانية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٨)

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: حوادثُ الدهور فى مَدى الأيام والشهُور، جزءان، تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين، الطبعة الأولى (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٠)

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى) ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ جزء ، تحقيق: نخبة من العماء، نسخة مُصورة من طبعة دار الكتب (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١)

- ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: إنباءُ الغُمرْ بأَبناءِ العُمرْ، تحقيق: حسن حبشى، ٤ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١١)

- ابن حجر العسقلانى (العلامة الحافظ أحمد بن على بن محمد المشهور بابن حجر العسقلانى) ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م: فتح البارى بشرح صحيح الإمام ابى عبدالله محمد بن إسماعيل البُخارى، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ١٣ جزء، الطبعة الأولى (القاهرة: المكتبة السلفية، د. ت)

- ابن شاهين الحنفى (زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الحنفى) ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م: كتاب الروض الباسم فى حوادث العُمر والتَّراجم، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٤)

– ابن شاهين الحنفى (زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين الحنفى) ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م: نيلُ الأمل فى ذيل الدول، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى، ٩ أجزاء، الطبعة الأولى (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٢)

– ابن منظور الأفريقى المصرى (الإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقى المصرى) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م: لِسانُ العرب، ١٨ جزء، طبعة جديدة ومُنقحة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤)

– الجوهرى (أبى نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهرى) ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م: الصِّحاح تَاج اللغة وصِحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر وآخرين (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٩)

– الذهبى (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م: سِير أعلام النُبلاء، تحقيق: بشار عوّاد مَعروف، ٢٥ جزء، الطبعة الحادية عشر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦)

– الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى) ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م: القاموس المُحيط، تحقيق: أبوالوفا نصر الهُورينى (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨)

– القلقشندى (الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤ جزء (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ، ١٩٢٢)

– السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى) ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م: الضَّوْءُ اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، الطبعة الأولى (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)

– السيوطى (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م: حُسن المُحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، جزءان، الطبعة الأولى (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨)

– الصيرفى (الخطيب الجوهرى على بن داود) ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشى، ٣ أجزاء (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، ٦ مجلدات ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد (لندن: مؤسسة الفرقان ،١٩٩٥–٢٠٠٣)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢ جزء، تحقيق: محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ١٩٩٧)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : اتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٤ مجلدات، تحقيق: جمال الدين الشيال ومحمد حلمى، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٩٦) ج٣، ص ٢٤٢–٣٢٨

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م : كِتابُ المُقفَّى الكبير، ٨ أجزاء، تحقيق: محمد اليَعلاوى، الطبعة الأولى (بيروت: دار الغرب الإسلامى، ١٩٩١)

– المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر المقريزى) ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م: المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار: المعروف بالخطط المقريزية ، جزأين، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٧)

– على باشا مبارك (على بن مبارك بن سليمان) ت ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ٢٠ جزء (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨).

– شمس الدين الشجاعى ت ٧٥٦هـ/١٣٥٥م: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده، تحقيق: بربارة شِيفر (فيسبادن بألمانيا: فرانتس شتاينر، ١٩٧٧)

الرسائل العلمية العربية:

– حسنى محمد نويصر: مُنشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة: دراسة معمارية وأثرية، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٧٥)

– سوسن سعد على الشامى: دراسة أثرية معمارية لظاهرة الحاق المدارس بالجامع الأزهر فى العصر المملوكى، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٩٤)

– عبدالله كامل موسى عبده: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي وحتى نهاية العصر المملوكى: دراسة معمارية زخرفية مقارنة مع مآذن العالم الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٩٤)

– محمد فهيم: مدرسة السلطان الغورى: دراسة آثرية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة القاهرة: كلية الآثار، ١٩٧٧)

الأبحاث العربية:

– عدنان عبدالله عبيدات، التنافس السياسى فى الدولة العباسية بين التيارين الفارسى والعربى ١٧٠-١٨٧هـ/ ٧٨٦-٨٠٢م "ولاية العهد أنموذجا"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مُجلد ٢٥، عدد ٢ (٢٠١٧) ص ص. ١٥٧-١٧٤

– هانى محمد الجواهرة القحطانى: تحليل بنيوى للعمارة الإسلامية: الاحتواء، الظهور، التحول، الطبقات، التكرار، ودورها فى تكوين العمارة الإسلامية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مُجلد ٢٥، العدد ٩٨ (٢٠٠٧) ص ص. ١١-٥١

المراجع العربية:

– أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الفاطمى، الجزء الأول، الطبعة الثانية (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨)

– أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها: العصر الأيوبى، الجزء الثانى، الطبعة الثانية (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٨)

– أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية فى مصر: تفسير جديد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧)

– حامد عبدالسلام زهران: عِلم النفس الاجتماعى، الطبعة الخامسة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤)

- حسن عبدالوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جزءان (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٤٥)

- حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٥-١٩٦٦)

- زكى محمد حسن: فنون الإسلام، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨)

- سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ٥ أجزاء (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠١٢)

- عبدالعزيز محمد الشناوى: الأزهر جامعا وجامعة، جزءان (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣)

- سيدة اسماعيل الكاشف: الجامع الأزهر ودوره فى نشر الثقافة العربية الإسلامية: مقالة ضمن كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠)

- محمد عبدالستار عثمان: سامرائيات: فصول فى التخطيط العمرانى والمنشآت المعمارية فى مدينة سامراء (٢٢١-٢٦٧هـ/ ٨٣٦-٨٨٠م) تفسير جديد، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٢٢)

- محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٩٢٣-٦٤٨هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية وثائقية (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤)

- محمد عبدالله عنان: تاريخ الجامع الأزهر (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢)

- محمد عبدالستار عثمان: نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، الطبعة الأولى (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٥)

- مجمع اللغة العربية: المُعجم الوسيط، الطبعة الرابعة (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤)

- مجمع اللغة العربية: المُعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠٠٢)

المراجع الأجنبية المترجمة:

- عبدالرحمن عزام: صلاح الدين وإعادة إحياء المذهب السنى، ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الثانية (قطر: مؤسسة قطر للنشر، ٢٠١٣)

- بيارد دودج: الأزهر فى ألف عام، ترجمة: حسين فوزى النجار (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠)

الرسائل العلمية الأجنبية:

- Ahmed Magdy Abdelgawwad Salem: A Comparative Study between the Madrasa and the Khanqa in Mamluk Egypt (648-923/1250-1517), a master thesis (Suez Canal University: Faculty of Tourism and Hotels, 2016)

- Amy Whittier Newhall: The Patronage of the Mamluk Sultan Qā'it Bay (872-901/1468-1496), a doctorate thesis (Harvard University: The Graduate School of Arts and Sciences, 1987)

- Heba Sheta, The Interpretation of Islamic Art and Architecture of Cairo in European Paintings in the 9th Century, a master thesis (American University of Cairo: School of Humanities and Social Sciences, 2017),

الأبحاث الأجنبية:

- Nasser Rabbat, Al-Azhar Mosque: An Architectural Chronicle of Cairo's History, ***Muqarnas***, Vol. 13 (1996), PP. 45-67

- R. Stephen Humphreys, The Expressive Intent of the Mamluk Architecture of Cairo: A Preliminary Essay, ***Studia Islamica***, Vol. 35 (1972), PP. 69-119

المراجع الأجنبية:

- Doris Behrens Abouseif: *Cairo of the Mamluks: A History of the Architecture and its Culture* (Cairo: American University in Cairo press, 2007)

- Doris Behrens Abouseif: *The Minarets of Cairo* (Cairo: American University in Cairo press, 2010)

- Oleg Grabar: *The Formation of Islamic Art*, 3rd edn (London: Yale University Press, 1978)

الأشكـــال:

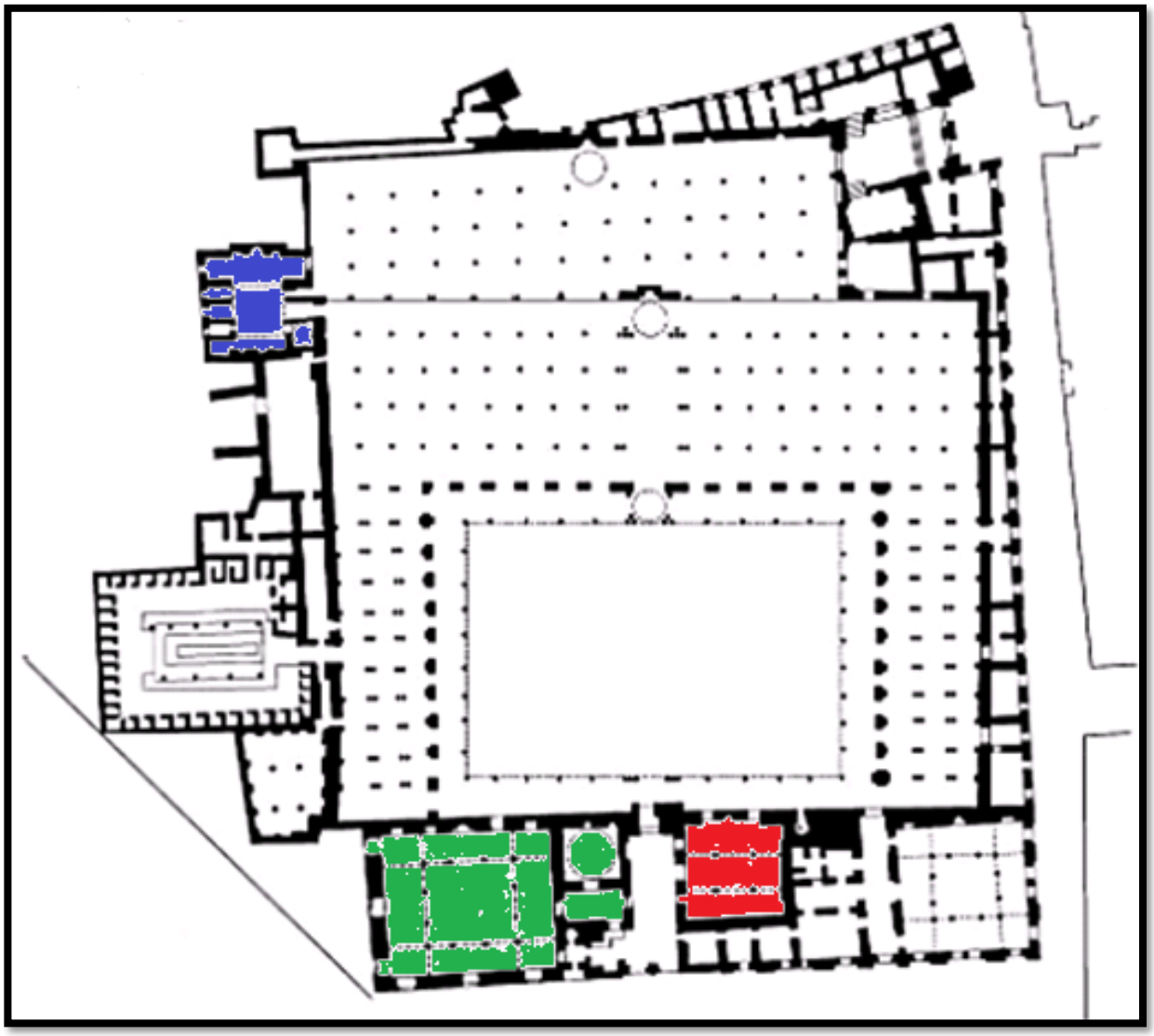

(شكل رقم: ١) مسقط أفقى يوضح تخطيط الجامع الأزهر وإلحاق المدارس به فى العصر المملوكى من قِبل الأمراء.

نقلا بتصرف عن: مركز تسجيل الآثار بالقلعة

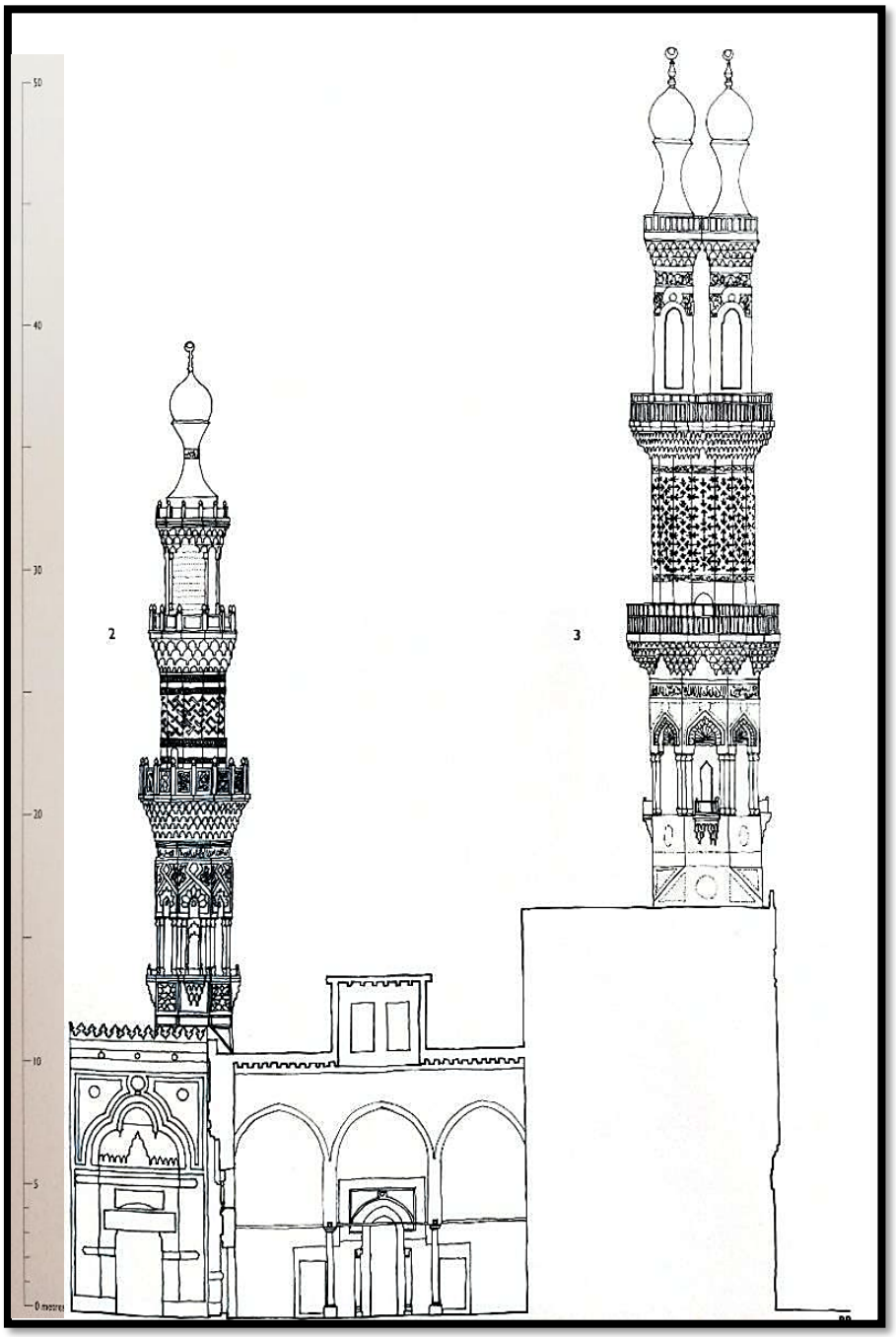

(شكل رقم:٢) رسم توضيحى يُظهر الفارق فى الارتفاع والحجم بين مئذنتى قايتباى والغورى بالأزهر

نقلا بتصرف عن:

Doris Behrens Abouseif: *The Minarets of Cairo*, p. 109

اللوحـات:

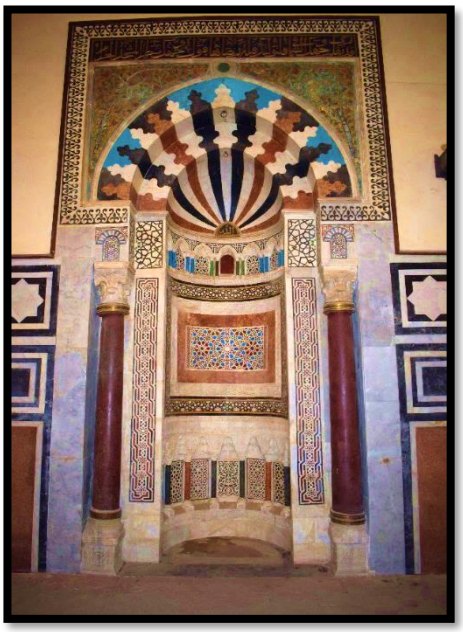

(لوحة رقم:١) توضح محراب المدرسة الطيبراسية وما به من زخارف.

تصوير الباحث

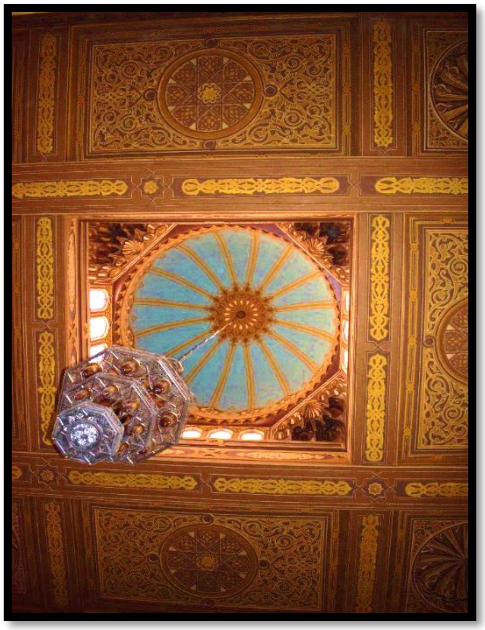

(لوحة رقم:٣) توضح سقف صحن المدرسة الأقبغاوية والشخشيخة.

تصوير الباحث

(لوحة رقم:٢) توضح تخطيط المدرسة الأقبغاوية من الداخل. **تصوير الباحث**

(لوحة رقم:٤) توضح تخطيط المدرسة الجوهرية من الداخل. **تصوير الباحث**

(لوحة رقم:٥) توضح التركيبة الرخامية بقبة المدرسة الجوهرية

تصوير الباحث

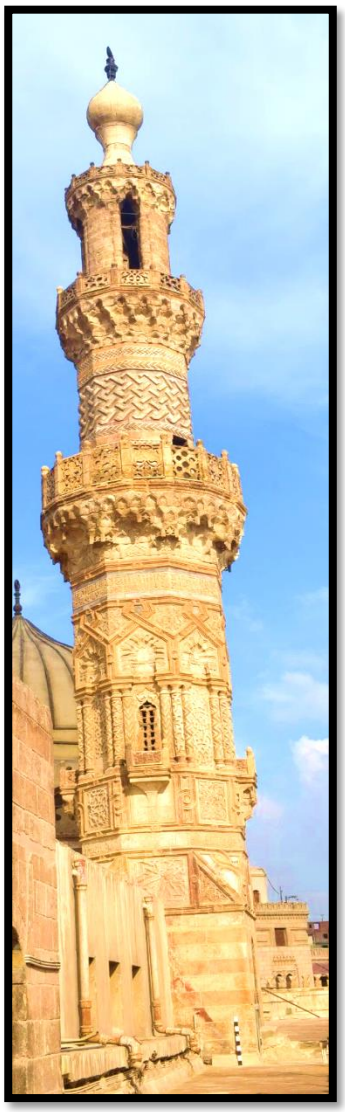

(لوحة رقم:٦) توضح مئذنة قايتباى بالأزهر. **تصوير الباحث**

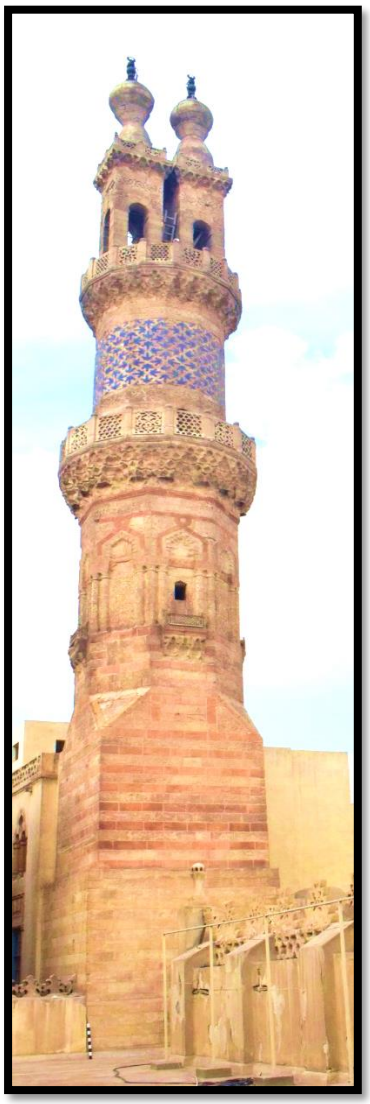

(لوحة رقم:٧) توضح مئذنة قانصوه الغورى بالأزهر. **تصوير الباحث**

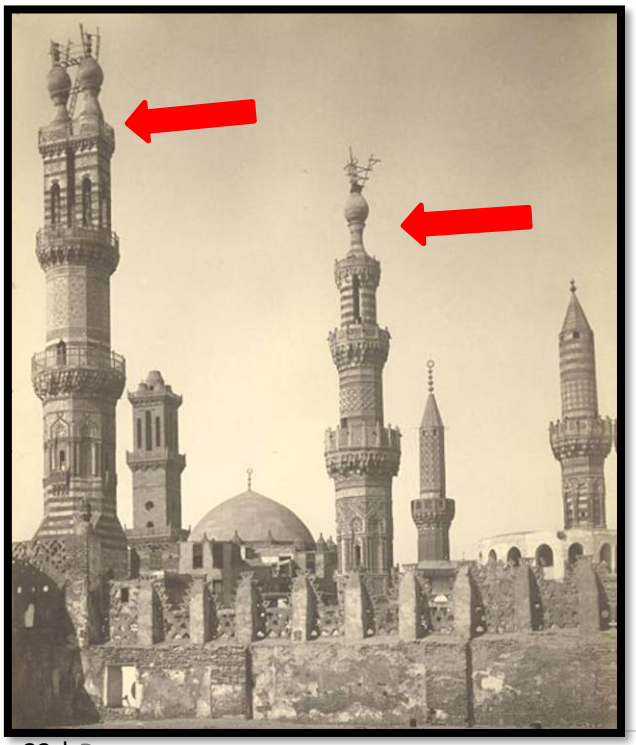

(لوحة رقم:٨) توضح الفارق فى الارتفاع بين مئذنتى قايتباى والغورى بالأزهر. (التُقطت هذه الصورة قبل عام ١٨٨٧م)

نقلا عن:

Heba Sheta, The Interpretation of Islamic Art and Architecture of Cairo in European, P. 118

Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality (JAAUTH)
journal homepage: http://jaauth.journals.ekb.eg/

The Influence of Competitive Between Emirs and Sultans on the Architecture of al-Aẓhar Mosque in Mamluk Era

Ahmad M. Salem, Muhammad A. Osman, Hebatullah M. Fathy.

Email: ahmed_salem@tourism.suez.edu.eg

ARTICLE INFO

Keywords:

Competitive; al-Aẓhar Mosque; Emirs; Sultans; Mamluk era.

(JAAUTH)
Vol. 22, No. 3, (2022)
pp. 55-84

Abstract

Al-Aẓhar mosque was built from the beginning to be a home for Shiite jurisprudences and its rituals during the Fatimid state. When Ṣalāḥ al-Dīn had come to power, he deliberately removed the rituals of Fatimid state and its doctrinal effects: abolishment of Friday sermon was one of the policies of Ṣalāḥ al-Dīn. Therefore, al-Aẓhar mosque was neglected for a hundred years. Fortunately, its architecture was revived during Mamluk era where emirs and sultans competed to return its splendor. The aim of this research is to Reveal the manifestations of rivalry between Mamluk sultans and emirs as a general culture through the written heritage represented in primary sources and heritage books. It proves the impact of rivalry on prosperity and creativity of al-Azhar's architecture whether this rivalry is between sultans themselves, sultans and emirs, or among emirs themselves. shed light on the influence of competitive among emirs and sultans on the architecture of al- Aẓhar mosque. It illustrates which architectural unites added as a result of this competitive. It was used historical, descriptive, deductive and measurement approach in preparing this study. The study revealed that competitive is one of the reasons for prosperity of the mamluk architecture, especially the architecture of Aẓhar mosque through mamluk era in Egypt.